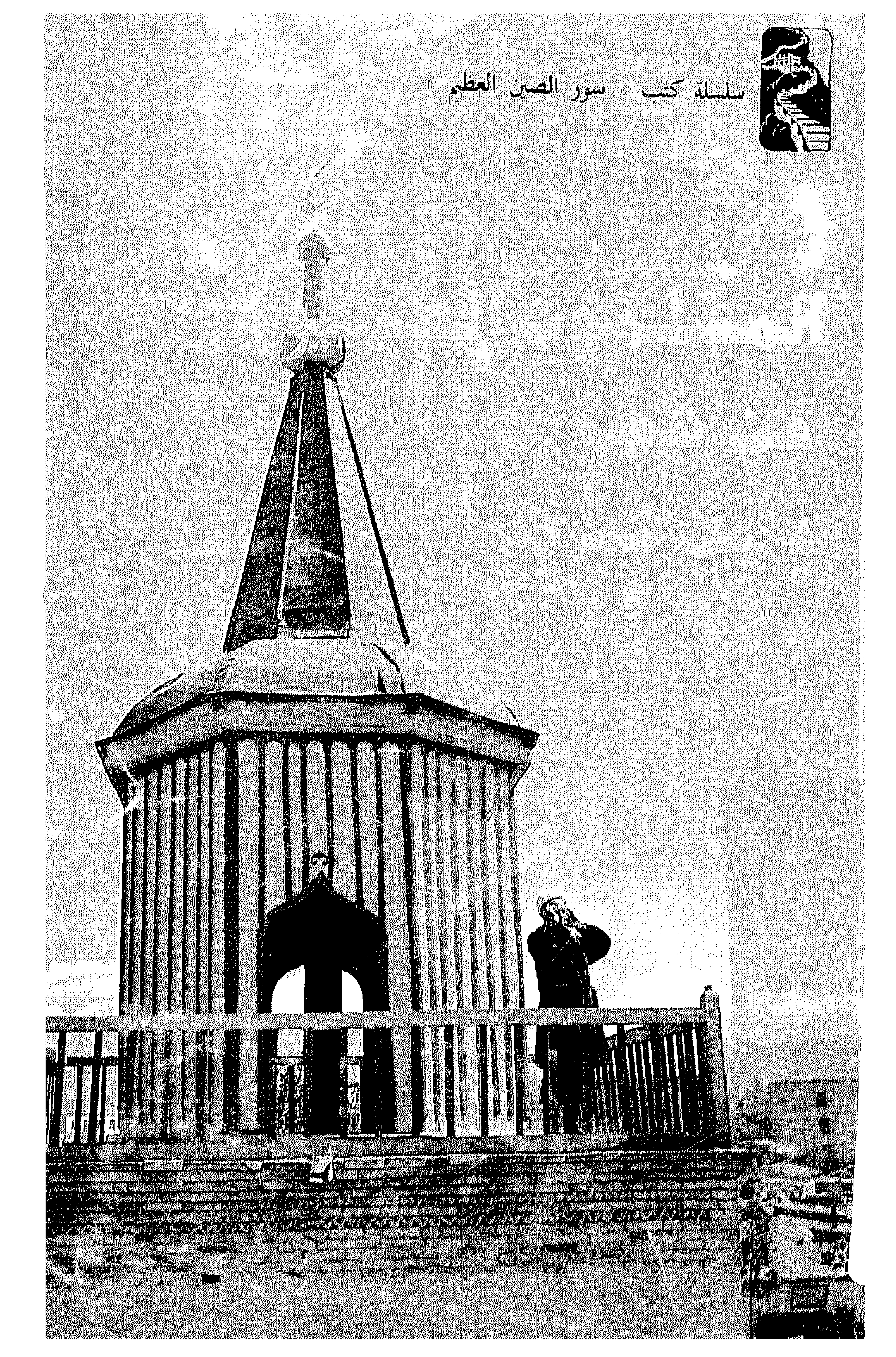

سلسلة كتب « سور الصين العظيم »



سلسلة كتب «سور الصين العظيم»

المسلمون الصينيون ..
من هم ..
واين هم ؟

الطبعة الاولى ، ١٩٨٣

الناشر : مجلة « بناء الصين »
عمارة واى ون ، بكين ، الصين
الموزع : الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب
(كوزى شوديان)
ص . ب . ٣٩٩ بكين ، الصين
طبع فى جمهورية الصين الشعبية

ايها القراء الاعزاء :

المسلمون الصينيون اشقاء احماء للمسلمين فى العالم قاطبة . وتعدادهم نحو ١٥ مليون نسمة . والمنطقة التى يعيشون فيها واسعة جدا . فاذن : من هم ؟ وأين هم ؟ هل لهم عادات وتقاليد خاصة ؟ وكيف يمارسون شعائرهم الدينية فى ظل الاشتراكية ؟ وكيف تجرى حياتهم ؟ شقية ام سعيدة ؟ هذه الاسئلة وغيرها هى ما تهم القراء ويتشوقون الى فهمها . وهذا الكتيب سيعطى للقراء اجوبة واضحة نسبيا ، مما يجعلهم يفهمون المسلمين الصينيين بصورة كاملة ومحسوسة . يحتوى هذا الكتيب على اكثر من عشرين مقالة وكثير من الصور .

— المحرر

الفهرس

زيارة الى محافظة قومية دونغشيانغ الذاتية الحكم

استطلاع : فائق ما لينغ يوى

تقع محافظة قومية دونغشيانغ الذاتية الحكم فى الجهة الشرقية من لينشيا وتكثر فيها الجبال وتحيط بها ثلاثة انهار من ثلاث جهات . وفى شمالها خزان مياه ليوجياشيا الذى يصب فيه النهر الاصفر .

كان اليوم الرابع من يونيو سنة ١٩٨١ من ايام الصحو بعد نزول المطر . خرجت من مدينة لينشيا الى دونغشيانغ . وكلما اجتاز الباص جبلا شاهقا وجدت جبلا آخر اكثر ارتفاعا . وبعدما انقضت اربعون دقيقة دخل الباص الى مدينة صغيرة واقعة على قمة جبل ، هذه المدينة اسمها سونانبا عاصمة محافظة دونغشيانغ الذاتية الحكم .

ان سونانبا تقع على جبل ارتفاعه ٢٦٠٠ متر فوق سطح البحر . وكان يصعب جدا على اهلها ان يجدوا الماء ، والآن تجلب اليهم المياه النقية . وما ان وطئت أرضها حتى انشرح صدرى ، ذلك لأنها مدينة جبلية هادئة نظيفة ، هواؤها نقى منعش . وفى الليل ، وعندما تضئ المصابيح الكهربائية تبدو وكأنها مدينة سماوية ، لا يوصف جمالها . وبها شارع رئيسى على شكل حرف « S » ، كلما قامت سوق دورية اكتظ بالناس وامتلأ بالضجيج .

قبل السفر الى دونغشيانغ زرت أديبا من قومية دونغشيانغ هو السيد وانغ يوى ليانغ . وقال لى : « يعرف معظمنا نحن ابناء قومية دونغشيانغ اللغة الهانية ، وعلى الخصوص الشباب والكهول ، اما اذا تكلم اهل دونغشيانغ بينهم فلا يعرف غيرهم حديثهم . »

لغتها وأصولها

لقومية دونغشيانغ لغتها غير المكتوبة ، وتنتمى لغتها ولغة المنغول الى أرومة واحدة ، ذلك لأن كثيرا من المفردات الاساسية مثل « الاكل » و« النوم » و« الحصان » و« البقر » و« الغنم » وغيرها من اسماء اعضاء جسم الانسان والاعداد متشابهة تماما . وتشمل من المفردات المنغولية خمسين بالمائة واكثر ، اذن أيكون اهل دونغشيانغ منغولا ؟

نعم ، هذه المسألة لا تزال رهينة البحث لدى العلماء فى علوم القوميات ولكن هناك آراء مختلفة :

احد الآراء : كان اجدادهم جماعة من المنغول فى دولة اوغوتاى التى حكمها اوغوتاى الابن الثالث لجنكيزخان ، تزاوجوا مع المسلمين فى دولتهم واعتنقوا بالاسلام . وعليه حدثت التناقضات بين المسلمين المنغوليين والمنغوليين الذين كانوا على دين لاما ، فاضطروا ان يغادروا دولة اوغوتاى ، وبعدما وصلوا الى محافظة مينتشين اليوم فى مقاطعة قانسو انقسموا الى قسمين ، احدهما دخل فى سهول ختاو الخصيبة فى منطقة منغوليا الداخلية ، اى المسلمون المنغوليون فى ولاية آراشان الحالية . والآخر دخل فى دونغشيانغ (البلد الشرقى) من لينشيا اليوم .

من هؤلاء المنغوليين الذين دخلوا دونغشيانغ ، وبسبب الالفة والمودة مع ابناء قومية هوى وقومية هان ، تشكلت قومية خاصة . ولكن فى المجتمع القديم لم يكن لقوميتهم اسم ، كانوا يسمون « المواطنون المتوحشون » أو « هوى هوى فى دونغشيانغ » . لماذا يسمون هوى هوى فى دونغشيانغ ؟ من الواضح انهم يدينون بالاسلام وقد إختلطوا بالتزاوج مع ابناء قومية هوى . وبعد التحرير ، اتخذت قوميتهم اسم المكان الذى يستقر فيه اكثريتهم .

الرأى الثانى : هم من الجنود المنغوليين الذين بقوا فى دونغشيانغ عندما قام جنكيزخان بالحملة الغربية ، حيث استصلحوا الاراضى زمنا طويلا ، وتعايشوا واختلطوا مع اهل قوميتى هوى وهان ، فتشكلت قومية دونغشيانغ اليوم .

عدد سكانها فى المحافظة ١٠٢٥٠٠ نسمة ، ولكن عدد سكانها الاجمالى يبلغ ٢٢٠ الفا تقريبا . وينتشر قسم منهم فى المحافظات المجاورة لها ، ويوجد ايضا قليلون منها فى منطقة شينجيانغ .

الحياة والعادات

أهل دونغشيانغ يجتهدون فى الزراعة ويعملون على بعض الرعى والاعمال الجانبية ، وظهرت الاسرة ذات المائة رأس من الغنم والاسر ذات العشرات منها ، وتحسنت معيشة الفلاحين تحسنا ملحوظا . مزروعاتها الرئيسية هى البطاطس والقمح والذرة وفول الصويا . ويحب اهل دونغشيانغ لحم البقر والغنم وشرب الشاى . وادوات شرب الشاى هنا اسمها «سانباوتاى» ، يعنى تنقسم الى ثلاثة اجزاء : صحن صغير وكوب وغطاء الكوب .

ان الحكومة الشعبية فى سبيل سد حاجة اهل دونغشيانغ من الشاى والسكر بذلت وتبذل اقصى الجهود ، وخاصة الهيئات التجارية تؤدى مهماتها خير أداء . ورأيت الشاى المتنوع والسكر فى كل مكان ذهبت اليه . واذا اردت شراء السكر سهل عليك اكثر مما تلاقيه فى بكين .

محافظة دونغشيانغ تشتهر بالفواكه الحلوة ، ففى وادى تانغوانغ مشمش كبير يشبه الخوخ حجما ، وفى وادى لاما البطيخ وفى هونغليوتان الكمثرى يمكن ان تبقى طول الشتاء ولا يتغير طعمها . ولم يصادف وجودى موسم نضج الفواكه ، فقال الاخوان من دونغشيانغ : ستظل مشتاقا الى دونغشيانغ لو تذوقت فيها المشمش والكمثرى . اننى لن أنسى دونغشيانغ واهلها الكرام رغم اننى لم أذق المشمش والكمثرى .

زيارة الى قومية باوآن على شاطئ النهر الاصفر

بقلم : فائق ما لينغ يوى

في ولاية لينشيا محافظة ذاتية الحكم جديدة التأسيس اسمها محافظة جبال جيشى الذاتية الحكم لقوميات باوآن ودونغشيانغ وسالا . جبال جيشى تشمخ فى الجهة الغربية من ولاية لينشيا ، وقمتها الاعلى تبلغ ٤٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، اما النهر الاصفر فيجرى نحو الشرق بعد ما يعبرها .

وصلت فى منتصف صيف سنة ١٩٨١ الى عاصمة المحافظة الذاتية الحكم تسويماتان ، وبينما كنت انظر الى جبال جيشى البعيدة اشار احد المحليين اليها . قائلا : « انظر ، تلك الثلوج المكدسة لم تذب بعد بالكامل . »

ان اهل قومية باوآن يقطنون فى اسفل جبال جيشي وعلى شاطئ النهر الاصفر . وهناك ثلاث قرى متصلة ببعض ، يسميها المحليون عادة « قرى باوآن الثلاث » ، واسماء القرى الثلاث هذه هى دادونغ وقانهوتان وميبو وتنتمى الى كومونة داخوجيا . وفوق ذلك فى كومونة ليوجى فيلق قالى الانتاجى يتألف من ثلاث قرى هى قرية قاو وقرية لى وقرية تشاو ، حيث يقطن فيها ابناء قومية باوآن ، وتسمى ايضا « قرى باوآن الثلاث » .

أصل اسم القومية

قبل قرن من الزمان ، كان ابناء قومية باوآن يقطنون فى بلدة باوآن فى محافظة تونغرن ، مقاطعة تشينغهاى . وفيما بعد قيل انهم بسبب جلب المياه للرى واختلاف الدين تناقضوا مع الطبقة العليا من اصحاب دين لاما والسادة المحليين ، فاضطروا الى الهجرة الى ولاية ختشو (لينشيا اليوم) ، ولكن القليلين المعتقدين بدين لاما ما زالوا مستوطنين مكانهم .

ومن حسن الحظ ان الذى رافقنا الى كومونة داخوجيا هو احد الكوادر القياديين فى حكومة المحافظة ، بل هو بذاته من ابناء قومية باوآن ، وبيته فى قرية دادونغ اكبر قرية فى « قرى باوآن الثلاث » . وفى طريق الذهاب الى داخوجيا قص على كثيرا من القصص المتعلقة بقوميته . وحينما تحدث عن اسم باوآن قال لى : « نحن باوآنيون بعدما هاجرنا الى هذا المكان ، ولا ننسى جميعا بلدتنا الاولى — بلدة باوآن ، وكلما سألنا الناس أجبناهم أننا جئنا من باوآن ، وهكذا صار اسمنا قومية باوآن . » واخبرنى ايضا بأنه قد سافر مع بعض اخوانه الباوآنيين فى سنة ١٩٨٠ الى محافظة تونغرن فى مقاطعة تشينغهاى حيث زاروا بلدة باوآن التى سكن فيها اجدادهم . والبيوت القديمة المهجورة هناك ما زالت موجودة ومهجورة من السكان . وقد زاروا ايضا مواطنيهم الذين يعتقدون بدين لاما والمستوطنين هناك .

يبلغ اليوم عدد سكانها الاجمالى ٧٤٠٠ نسمة ، منهم اكثر من ٦٨٠٠ شخص يسكنون فى كومونة داخوجيا وكومونة ليوجى ، وهم يعتنقون الاسلام . ولهم لغتهم غير المكتوبة . ان لغة قومية باوآن ولغة قومية منغول تنتمى الى أرومة واحدة . وكلهم يعرفون لغة قومية هان نتيجة تعاملهم مع ابناء قومية هان وهوى . وعندما حللت ضيفا على احدى العائلات الباوآنية طلبت منهم ان يتكلموا باللغة الباوآنية ، وسمعت ذلك ، ولم اعرف ما تكلموه سوى كلمات حديثة قليلة .

لماذا تنتمى لغة قومية باوآن الى أرومة لغة قومية منغول ؟ هل كان اصلها قد نشأ فى المنغول ؟ نعم ، كان اجدادهم من المنغول . هناك شيخ باوآنى اسمه ما ابراهيم استعرض الماضى وقال : سافر ابوه فى شبابه الى شمالى منطقة شينجيانغ بقصد التجارة ، ورأى ان ازياء المنغول هناك تشبه ازياء الباوآنيين ، وما يتكلمونه عرفه ايضا . ويعتبر الشيخ ما تسى شى وغيره فى قرية دادونغ أنهم خلف من المنغول فى شمالى شينجيانغ . واليوم فى لغتهم مفردات منغولية تبلغ ٤٦ بالمائة تقريبا .

الزينات الباوآنية

ما هى ميزات الزينات التى يلبسها أهل باوآن ؟ اتذكر انه قبل سفرى الى داخوجيا ، قد عرفت انها مكان كثير القوميات وعليه فكرت كثيرا وكان تصورى : داخوجيا ذات جبال خضراء وينابيع صافية ، وفى شوارعها من يروح ومن يعود ،

وبينهم الرجال والنساء والشباب والفتيات ، ليس هذا فحسب ، بل يلبسون الازياء الجميلة المختلفة ويتكلمون بالالسنة المختلفة .

ولكن الواقع كان بعيدا عن ما تصورته . . وذلك بعد ما وصلت اليها ورأيتها وفهمت احوالها الحقيقية . من المستحيل ان تفرق بينهم من ازيائهم ، ذلك لأن الازياء قد اصبحت متشابهة من حيث الطراز ، اما اللغة فاللغة الهانية (اللغة الصينية) متداولة بين ابناء القوميات المختلفة . ويقال ان الباوآنيين اذا حلت الاعياد يلبسون ازياءهم ذات الميزات القومية ، فالنساء يحببن الازياء الارجوانية او الزبرجدية ، وسراويلهن زرقاء او سوداء ، وعلى رؤوسهن كوفيات حريرية ملونة . أما الرجال فيلبسون القبعات البيضاء ، والقمصان كذلك وعلى القميص الابيض صديرى اسود . وبعضهم يلبس الجلابيب ، ويربط الحزام والسكين فى الخصر ، واحذيتهم طويلة .

« السكاكين الباوآنية »

لدى الباوآنيين حرفة يدوية تقليدية هى صناعة السكاكين ، يسميها الناس « السكاكين الباوآنية » . يقال ان الباوآنيين قبل هجرتهم الى داخوجيا قد تعلموا حرفة صناعة السكاكين من الحرفيين التبتيين ، بل طوروها واصلحوها من حيث شكلها وجودتها . وهذه السكاكين جميلة الشكل حادة وكثيرة الالوان ، وسهلة فى استعمالها . وهى منتشرة فى منطقة شمال الصين الغربى . . بعد التحرير صارت تباع فى الاسواق الدولية . وفى السنوات الاخيرة تزايدت افواج السياح الاجانب الى دونهوانغ بقصد زيارة الرسوم الجدارية فى الكهوف الحجرية ، وعليه تنقل السكاكين الى دونهوانغ حيث يشتريها بسهولة الاصدقاء الاجانب والمواطنون القادمون من هونغ كونغ وماكاو .

قومية سالا

استطلاع : تسنغ تشينغ نان

المسافة بين بكين ، عاصمة بلادنا ، وبين مدينة شينينغ ، حاضرة مقاطعة تشينغهاى ، تستغرق مدة يومين بالقطار . ولما كانت مجلة « بناء الصين » قد بدأت فى تغطية اخبار المسلمين الصينيين تسهيلا على القارئ العربى كيما يطلع على بعض احوالهم من حيث التاريخ والعادات ، هان امامنا كل مشقة يمكن ان تصادفنا ولو كانت من وعثاء السفر . .

والمعروف ان بكين ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٥٠ م ومدينة شينينغ ٢٣٠٠ م .

الهدف من هذه الرحلة زيارة قومية سالا التى تتمركز فى المجرى الاعلى للنهر الاصفر . معظم ابنائها (٤٠ الف نسمة تقريبا) يتمركزون فى محافظة شيونهوا الذاتية الحكم لقومية سالا .

والمسافة من شينينغ الى شيونهوا قطعتها سيارة الباص فى ٦ ساعات . ان محافظة شيونهوا جزء من المنطقة الزراعية الشرقية من مقاطعة تشينغهاى . . فى طريقى شاهدت بسطا خضراء من حقول قمحية وواديا ضيقا طوله ١٠ كيلومترات . والمعلوم ان مقاطعة تشينغهاى تقع على هضبة تشينغهاى – التبت ، لكن هذه الجهات ليست شديدة الارتفاع ، وهى صالحة للزراعة .

البيوت على طراز القلعة

ما أن وصلت الى شيونهوا حتى كان اول ما طبع فى عقلى هو بيوتهم – بيوت لبنية سطوحها منبسطة ، مثلها مثل الصفائح على الارض . وكل بيت له فناء واسع يحيط به سور عال ، يبدو وكأنه قلعة . وفى كل فناء تزرع الازهار والاشجار والخضار .

المسلمون الورعون

السالانيون يهتمون بالنظافة . . كل عائلة تخصص مكانا او غرفة للغسل ،

ويستخدمون الاباريق لغسل الوجه واليدين . ليسوا كالهانيين يستعملون الطشوت الكبيرة .

وهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر . اذكر حين نزلت ضيفا على عائلة هناك ، عزمت على الحاضرين بالسجائر ، فهزوا رؤوسهم رافضين بلطف واحترام . وهنا قال لى شياو ما همسا : « عفوا ، قد نسيت ان اخبرك بان السالانيين لا يدخنون وأنصحك الا تدخن ايضا . » فاعدت السجائر الى جيبى . وقال رب العائلة الذى أكرمنا بالشاى : « نحن لا ندخن ولا نشرب الخمر . »

فسألته : « هذه عادة طيبة جدا ، وعلينا ان نتعلم منكم . ولكن كيف كان ذلك ؟ »

قال : « ورثنا هذه العادة من اسلافنا ، فالسجائر والخمور مضرة بالصحة ، واسراف فى المال . والكبار ينصحون الشباب ان يبتعدوا عنهما . »

ولكن السالانيين يحبون شرب الشاى الاحمر ، ويقال ان الأهالى المستوطنين فى المنطقة الباردة الشاهقة الارتفاع والمحبين لاكل لحوم البقر والضأن يشربون الشاى الاحمر دائما حيث انه مفيد فى عملية الهضم وفى تدفئة الجسم .

الزينات السالانية

السالانيون طوال القامة ، متوردو الوجوه ، والشيوخ والكهول منهم يرخون لحاهم ، ويعتمرون القبعات البيضاء او السوداء والقمصان كذلك ، وعلى القميص صديرى اسود . اما النساء عدا الطالبات والطفلات فيرتدين أغطية على الرأس ولا يظهر الا وجوههن فقط . هذا والاغطية هناك مختلفة الالوان ، يقال ان الفتيات يلبسن الاغطية الخضراء ، وبعدما يتزوجن يستبدلنها بالاغطية السوداء . اما النساء فوق الخمسين سنة فيلبسن الاغطية البيضاء . ولكن مع تقدم العصر ، ترتدى بعض الفتيات المناديل الشفافة الجميلة .

حفلة الزفاف

وفيما يتعلق بعادات الزواج لدى ابناء قومية سالا قدم شياو ما لى بعض الحالات الممتعة . اذ حين تغادر العروس بيتها تسير متراجعة ، بل تبكى وتتراجع ، لماذا ؟ ثمة آراء مختلفة ، البعض يقول انها لا ترضى عن الزواج ، والبعض الآخر يقول ان الفتاة تعز على والديها ولا ترضى مغادرتهما .

وعند استقبال العروس يمنع دخول الرجال فى بيت العروس سوى العريس . وبعد وصولها الى بيت العريس ، يسكب اهل العريس الحليب على حوافر الحصان الذى ركبته العروس ، ثم يعطى كل مشترك فى الاستقبال حصة من لحوم الضأن . وعند المأدبة يعطى كذلك كل حاضر حصة من لحوم الضأن . ولكن أفضل حصة (صدر الضأن) تكون من نصيب والد العروس ، اما النصف الآخر فيقدم الى خالها .

وحتى اليوم ما زالت تنتشر نشاطات مسلية تسمى « دويوايوينا » فى بعض الاماكن فى محافظة شيونهوا ، وهى طقوس خاصة من طقوس الزواج لدى ابناء قومية سالا : هناك رجلان يلبسان الفراء ليمثلا جملين ورجلان آخران ، أحدهما يلبس جلبابا ويلف رأسه بعمامة طويلة ويسوق الجمل يؤدى دور الاسلاف السالانيين والآخر يلعب دور منغولى محلى او دور تبتى ، وهم عند التمثيل يرقصون ويغنون .

حرية الاديان

لاحظت فى كل قرية يتمركز فيها ابناء قومية سالا مسجدا . وما ان يدخل المرء تلك القرية حتى يرى مأذنة عالية ومصلى واسعا . ويقال ان فى محافظة شيونهوا قاطبة ٧٤ مسجدا و٢٢ قبة — القبة تكون دائما مكانا تقام فيه نشاطات دينية .

واخبرنى شياو ما بانه بعد سحق عصابة الاربعة قد عادت حرية الاديان الى المسلمين . وابتداء من سنة ١٩٨٠ فتحت ابواب المساجد للمسلمين بالتدريج . والائمة يتولون الاعمال الدينية والمسلمون والمسلمات المتقدمون فى السن يؤدون الصلاة فى المساجد او فى البيوت وبعض الشباب والشابات كذلك .

محطة الرى والصرف الكهربائية

فى محافظة شيونهوا ، رأيت الفلاحين يعملون فى رى الحقول . ولكنى أتذكر قبل السفر أننى قرأت بعض المعلومات المتعلقة باحوال شيونهوا « المياه جارية فى النهر والفلاحون حزانى قلقون بسبب عطش المزروعات » و« قد يقتل العطش الناس وهم على ضفة النهر الاصفر» .

طرحت هذا السؤال على مسؤول كومونة تشينخشوى ، فقال لى : « انظر الى مجرى النهر الاصفر . انه عميق جدا ، ويبلغ ارتفاع الضفة فى العادة عشرات

الامتار . فقبل التحرير لم يمكن للفلاحين ان يجلبوا مياه النهر الاصفر الا من السماء . اما مقدار المطر الساقط هنا فهو قليل جدا ، اذ يبلغ حوالى ٢٦٠ مليمترا سنويا . »

وزرت محطة الرى والصرف الكهربائية للكومونة . وهى محطة ضخ ذات درجات ثلاث يمكنها ان تجلب مياه النهر الاصفر من مجرى النهر البالغ ١٦٠ مترا عمقا — تم بناؤها فى السبعينات . واليوم تبلغ مساحة الحقول فى الكومونة كلها ٦٢٠٠ مو ، منها ٢٤٠٠ مو من الحقول المروية .

وهنا لم يتطور انتاج الحبوب الغذائية فحسب ، بل يشهد تطورا فى انتاج الفواكه ، مثل الكمثرى والمشمش والعنب والتفاح والبطيخ ، واصبحت شيونهوا القاحلة فى الماضى بلدا تكثر فيه الفواكه والبطيخ فى مقاطعة تشينغهاى . وقال شياو ما : « وحتى لو اتيت الى هنا فى منتصف الخريف فانك ستشبع منها . »

الاسلوب الممتع فى عبور النهر

ذات ظهر من الايام جاءنى شياو ما مهرولا وقال « هيا معى . اننى ادعوك لتشاهد امرا مسليا . » فأتينا الى شاطئ النهر الاصفر ، ورأيت جماعة من الاولاد ينفخون اكياسا من الجلد ثم يضعونها فى النهر ، ويركبونها ، فتسير هادئة ضد التيار . الاولاد الكبار يعبرون بسهولة والصغار منهم كثيرا ما يسقطون ، فيضحك الجميع ويقهقهون .

اخبرنى شياو ما بان الاكياس الجلدية هى ادوات عبور النهر يستخدمها ابناء سالا .

بعض المعلومات المتعلقة بقومية سالا .

عدد سكان قومية سالا الاجمالى ٥٦٠٠٠ نسمة بناء على احصاء سنة ١٩٧٨ ، يستوطن ٩٠٪ فى محافظة شيونهوا الذاتية الحكم لقومية سالا ، مقاطعة تشينغهاى . وينتشر الآخرون فى محافظة هوالونغ المجاورة لها وفى كومونة داخوجيا بولاية لينشيا ذات الحكم الذاتى لقومية هوى فى مقاطعة قانسو .

اللغة السالانية تنتمى الى ارومة اللغة التركية ، ويوجد فى نفس الوقت بعض المفردات الهانية والتبتية بسبب الاتصالات بين قوميات هان والتبت وهوى عبر الزمن ويعرف معظم الشباب والكهول ان يتكلموا اللغة الهانية .

قومية تاتار

استطلاع : تسنغ تشينغ نان المراسل الخاص لمجلة « بناء الصين »

قومية تاتار قليلة العدد ، معظمهم فى مدن منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم .

لها لغة خاصة من ارومة اللغة التركية تتخذ حروف اللغة العربية . ولما كانت فى تعايش طويل مع قوميتى ويغور وقازاق اصبحت لغتهما لغة دارجة لها .

قومية تاتار (٣٠٠٠ نسمة من احصاء عام ١٩٨٠) من اقل القوميات الست والخمسين فى الصين تعدادا . ويسكن معظم ابنائها فى مدينة اورومتشى وينينغ وتاتشنغ داخل منطقة شيجيانغ الويغورية الذاتية الحكم .

وقد زرت بعض التاتاريين وتركت معيشتهم وعاداتهم انطباعات عميقة فى نفسى .

عائلة تاتارية

زرت بعض العائلات التاتارية وفوجئت باختلاف كبير بين قومية تاتار وقوميات ويغور وقازاق وغيرهما من حيث السكنى والاثاث واسلوب الحيـاة .

والعائلة التى زرتها فى المدينة ، اسم ربتها رمانة (٦١ سنة) . فى بيتها حديقة زاخرة بالاشجار المثمرة والازهار الباهية وكرمة الجنجل معرشة على سقف البيت . وعلى كلا جانبى الحديقة صف من الغرف السميكة الجدران .

وجرى بينى وبين ربة البيت حديث ، فقلت لها : يبدو لى ان عاداتكم تختلف عن العادات الويغورية كثيرا .

فهزت رأسها بالموافقة وهى تبتسم قائلة : كلامك صحيح .

ثم اشارت الى بعض الاختلافات . مثلا ، من الطعام التاتارى رغيف مشوى

بطبقتين ، احداهما من الرز مع الجبن والاخرى من الرز مع المشمش المجفف ، ورغيف مشوى من اليقطين والرز مع اللحم ، ورغيف مقلى من الطحين والبطاطا . علاوة على ذلك يتناول التاتاريون الطعام لا بالعيدان مثل قومية هان ولا باليد مثل قومية ويغور وقازاق بل بالملعقة . واضافت تقول : « هذه عادة عريقة التاريخ . وحتى الآن يحضر التاتاريون الولائم الويغورية او القازاقية ومعهم ملاعق . »

اثناء حديثنا جاءتنا الحان متقطعة من البيانو والاكورديون فاخبرتنى رمانة ان حفيديها (٨ سنوات و ١٠ سنوات) يتمرنان على العزف .

قومية تاتار مشهورة برقصها وغنائها اذ يحب التاتاريون رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ان يرقصوا ويغنوا . فى شينجيانغ ، كلما ذكرت قومية تاتار تبادر الى اذهان الناس الرقص والغناء .

عادات الزفاف

تقوم رمانة بالنشاطات النسائية منذ تأسيس الصين الجديدة . فطلبت منها ان تتحدث عن التاتاريات فقالت فى سرور : « الاسرة التاتارية تتكون غالبا من ٤ او ٥ افراد على اساس وحدة الزواج . ولا يجوز للفتى ان يتزوج الا اذا استقل اقتصاديا وعليهما ان يغادرا دار الوالدين الى بيت منفصل بعد الزواج . وهذا ما حصل لاولادى الثلاثة وابنتى الاثنتين . »

وقالت : « ان تلبس النساء الحجاب فذلك ليس من عاداتنا قديما . اما بعد ان نزحنا الى شينجيانغ لجأت بعض النساء الى الحجاب خضوعا لضغط الرأى العام بيد ان معظمهن ما زلن بدونه .

« من تقليد القومية ان تشدد العائلة على الفتاة الشابة الحماية الدقيقة والحذر البالغ . . »

واضافت قائلة : « يقام الفرح فى بيت العروس حسب التقاليد وعلى الفتى ان يقدم لبيت فتاته قبل عدة ايام من الزواج كل ما صنعه لها من الالبسة والاثاث والحاجيات الاخرى والطعام الخاص لحفلة الزفاف ويحضر فى مساء يوم الزواج الى بيت العروس بصحبة اصدقائه الشبان وهم على عربة الخيل ، يغنون ويعزفون . وتظهر العروس فى حفلة الزفاف بشال حريرى وفستان جميل ، كلاهما طويل ابيض رمزا للطهارة والعفة والسعادة .

« ولا يعود العريس بفتاته الى البيت الا بعد ٣ اشهر او نصف سنة او بعد ولادة البكر ذلك لاتاحة الفرصة للعروس فى تعلم كيفية رعاية زوجها والعناية به ومن ثم المحافظة على الحياة السعيدة حتى نهاية العمر . »

المسجد التاتارى

وصلت ذات يوم الى مدينة ارومتشى حيث رافقنى الدليل فى اليوم التالى اى يوم الجمعة الى مسجد لقومية تاتار مختلف طرازه عما شاهدت فى شينجيانغ والمناطق الاخرى من مساجد لقومية ويغور وهوى ، فالمئذنة العالية بشكل مربع تشمخ على سقف البناية فى وسط المسجد المطلى باللون الازرق الصافى واخبرنى الدليل انه يسمى المسجد التاتارى او المسجد الازرق .

زرت الامام الحاج عبد الله (٦٦ سنة) الضخم الجسم اللامع العينين المسترسل اللحية على صدره وهو امام ذو ثقة ومهابة فى المنطقة المحلية . ولقد قام بالشؤون الدينية منذ عشرات السنين وحج الى مكة عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٢ .

قال الامام لى ان هذا المسجد بناه التاتاريون قبل ٨٣ سنة ، يتسع لـ ٤٠٠ او ٥٠٠ شخص . ويتردد اليه ٥٠ او ٦٠ مصليا فى الايام العادية و٢٠٠ او ٣٠٠ فى يوم الجمعة . اما فى عيد الاضحى فيبلغ العدد عدة آلاف . والجدير بالذكر انه فى يوم الجمعة من اوائل يونيو عام ١٩٨١ حضر جميع اعضاء وفد رابطة العالم الاسلامى الى المسجد للصلاة .

منذ القرن التاسع بدأت قومية تاتار تعتنق الاسلام ولكل مسجد من مساجدها تقريبا مدرسة دينية لنشر التعاليم الاسلامية بين السكان المحليين ولتربية رجال الدين .

قومية قرغز

استطلاع : تسنغ تشينغ نان

تتواجد في منطقة حدود غربى الصين اقلية قومية عريقة من القوميات الصينية تسمى نفسها « قرغز » .

قومية بدوية على متن السحاب

لقومية قرغز ولاية ذاتية الحكم تابعة لمنطقة شينجيانغ ذات الحكم الذاتى لقومية ويغور ، عاصمتها آتوشى – مدينة حديثة فى الصحراء ، تعتبر مركزا للقومية من حيث السياسة والاقتصاد والثقافة ، ويمكن للذى يصل اليه ان يجده عالما خاصا لهذه القومية وهو يشاهد الرعاة يتجولون فى الشوارع بالازياء القومية الملونة ويسمع موسيقى القومية الرخيمة تذاع فى كل الاركان ويقرأ صحيفة باللغة القومية .

ليس للقومية لغة خاصة فحسب ، بل لها تقويم سنوى خاص – وذلك نادر فى سائر الاقليات القومية الصينية – اذ تتخذ القومية اسماء ١٢ حيوانا كرموز للسنين على التوالى ، مثل الفأر والبقر والنمر والارنب والسمك والثعبان والخيل والغنم والثعلب والدجاج والكلب والخنزير – السنة ١٢ شهرا تحدد بدايته بظهور الهلال . وعيد القومية فى مستهل السنة الجديدة ، حيث تقيم كل عائلة ولائم فاخرة لتكرم بعضها البعض ، وتشعل النار فى كومة من العشب امام البيت يقفز عليها جميع افراد العائلة واحدا تلو الآخر ثم المواشى تمنيا للسعادة والقضاء على البلايا .

ورغبة فى التعرف على معيشة ابناء القومية ذهبت برفقة قرغزى الى الفيلق الثانى من كومونة طويون على مسافة ١٨٠ كيلومترا عن العاصمة آتوشى وعلى ارتفاع ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر فشعرت بالدوار والغشيان حالما وصلت . لكن القرغزيين يعيشون منذ القدم فى هذا الارتفاع داخل جبال تيانشان وكونلـون وهضبة البامير عيشة بدوية او شبه بدوية حتى كأنهم يرعون على متن السحاب .

في خيمة صوفية

زرت الراعي محمدي طورقان في بيته وهو عبارة عن خيمة صوفية جديدة تضم افراد الاسرة السبعة . والجدير بالذكر ان هذا النوع من الخيام يفضله معظم القرغزيين لسهولة حلها ونقلها .

وسر صاحب البيت ان انزل عليه ضيفا فرفع ، حسب عادات قومية قرغز ، ستار باب الخيمة مرحبا بدخولي .

لما كانت هذه اول مرة ادخل فيها خيمة قرغزية ، لفت انتباهي البناء الغريب والاثاث الطريف : خيمة مستديرة بقطر ٦ او ٧ امتار ، مبنية باغصان الشجر على شكل المعين ومغطاة بستار عشبي فلباد ابيض وفي وسط السقف الدائر منور بقطر نحو متر مستور بقطعة من اللباد يمكن فتحها في ايام الصحو . وللخيمة باب صغير بعلو ١٫٥ متر وعرض ٠٫٨ متر تجاه الجنوب الشرقي لتجنب الريح الشمالية . . الباب في الحقيقة ستار من العشب واللباد . وفي قلب الخيمة موقد للطبخ والتدفئة .

قرى الضيف

يرعى المضيف ٢٠٠ رأس من الغنم — ذات لية كبيرة — للفيلق الانتاجي ، اضافة الى ذلك يملك ٢٣ شاة وخروفا و ٥ معز و ٣ بقرات وفرسين وجملا . في السنة الماضية حصل على اكثر من ٦٠٠ يوان . وعن حياته الهانئة قال في انشراح وتأثير : « بفضل تطبيق سياسة الرعي الصحيحة تعززت حقوقنا وحريتنا في الانتاج وبالتالي تحسنت حياتنا كثيرا . فمثلا انفقت قبل السنة الماضية اكثر من ١٠٠٠ يوان لصنع هذه الخيمة الجديدة واشتريت في السنة الماضية كثيرا من الالحفة والثياب لعائلتي . . . »

حينذاك نادته زوجته وهي في الخارج ففتح لنا آلة التسجيل الكبيرة قبل خروجه فحامت في الخيمة انغام قرغزية جميلة تهز قلبي فرحا لسعادة القرغزيين .

وبعد لحظة ادخل المضيف الى الخيمة كبشا ذا لية ضخمة بوزن نحو ٦٠ كيلوغراما وتفوه بكلمات في ابتسام ثم خرج به . فشرح دليلي انه طلب مني ان ارى الكبش قبل ذبحه تكريما لي . فنهضت امنع ذلك لكن بدون جدوى وقال دليلي : «كيف لا تقبل وهذا من عادات القرغزيين . »

عندما انشغل المضيف مع زوجته فى طهو اللحم عرفنى الدليل عادة القرغزيين فى اقامة الولائم وهذا ما كنت فى توق لمعرفته .

من عادة القرغزيين ان يقدموا للضيف العزيز الالية ، وللضيف العادى الكتف والرأس . وعلى الضيف ان يقدم ، قبل تناول الطعام ، بعضا من اللحم للمضيف ويبقى بعد الاكل شيئا لافراد العائلة .

حياة ممتعة فى وقت الفراغ

« شد حيلك ! شد حيلك ! » جذبنى الصياح الممتزج بالضحكات خارج الخيمة فقد كان الرعاة يهللون لشابين يتباريان فى شد الحبل .

لم يسبق لى ان شاهدت مثل هذه المباراة الغريبة . . اذ جرت العادة على ان يشد كلا الجانبين المتواجهين والمتماثلين فى العدد بطرف من حبل غليظ والفائز هو متجاوز الخط الفاصل بالحبل . لكن مباراة شد الحبل لدى القرغزيين هى ان يضع رجلان وهما ظهرا لظهر وبينهما مسافة ٥ امتار ، حبلا صوفيا مربوط الطرفين حول عنقيهما ويزحف كل منهما على الارض الى اتجاهه ويداه ممسكتان بقرنى كبش والفائز هو الذى يسحب خصمه الى جانبه وراء الخط الفاصل .

بذل الرجلان كل قوة ، احدهما يشد خصمه حينا والآخر يوشك ان يفشل حينا آخر او كلاهما يتسمر فى مكانه دون حراك ، لا يستطيع التقدم ولا التراجع والرعاة المشاهدون بعضهم يشجعونهما بهتافات وصيحات والبعض الآخر ينغمسون فى الضحكات بملء الشدقين .

لم تنته المباراة حتى بدأ سباق الخيل وهو عجيب ايضا . فى الارض حفرة بقطر ١٠ سنتيمترات وعمق ٢٠ سنتيمترا ، داخلها قطعة نقدية نحاسية قديمة ، وعلى بعد متر منها حكمان على الخيل . اما الفرسان فعلى بعد ١٠٠ متر منها وفى صف واحد ، يندفع احدهم بعد الآخر الى الحفرة ، لحظة اقترب ضرب الحكم على جواده سوطا شديدا منعا لتباطؤه بينما ينحنى الفارس فى سرعة فائقة ليلتقط القطعة النقدية من داخل الحفرة ، وهذا الهدف صعب التحقيق بسبب اندفاع الجواد الجنونى فللناجح جائزة .

منذ زمن قديم ونشاط القرغزيين الانتاجى هو الرعى ، اذ كانوا يعيشون فى مراع نادرة العمران عيشة رتيبة . ولاجل ازهار الحياة ابدعوا نشاطات رياضية

مختلفة تجاوزت حسب ما قيل ٤٠ نوعا ، تجمعوا رجالا ونساء ، شيبا وشبابا ، يتسلون بها احتفالا بالاعياد وفرحات الزفاف او قطعا لوقت الفراغ .

الحياة الدينية

يعتنق القرغزيون الدين الاسلامى . ولما كانوا يتنقلون وراء الكلأ والماء لم يشيدوا المساجد . وهم يحافظون على العادات والتقاليد الاسلامية فلا يأكلون ، مثلا ، لحم الخنزير والكلب والبغل والحمار واللحوم غير الذبيحة حسب الاصول الشرعية ، ويحتفلون بعيد الفطر وعيد الاضحى ، ويطلبون الائمة لتلاوة القرآن بمناسبة الولادة والزفاف والوفاة . الى جانب ذلك ما زال فى اعتقادهم الدينى آثار باقية لدين سامان الذى يدين به القرغزيون المقيمون فى محافظة فويوى بمقاطعة هيلونغجيانغ وقليل ممن فى محافظة آمين يؤمنون بدين لاما .

قومية قرغز

تعداد قومية قرغز حاليا ١٠٥٠٠٠ نسمة (١٩٨٠) ، يقيم ٨٥٠٠٠ منهم فى ولاية كزلسو الذاتية الحكم لقومية قرغز بغرب جنوبى منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم .

وردت المعلومات حول هذه القومية فى السجلات التاريخية الصينية منذ اكثر من الفى سنة . فقد سكن اسلافها فى اعلى نهر ينيساى شمالى الصين ثم نزحوا باتجاه الجنوب الغربى تدريجيا ليندمجوا مع سائر القوميات حتى ظهرت قومية قرغز .

خلال التطورات التاريخية الطويلة ابدع القرغزيون الفنون الادبية المتنوعة ، ومن كنوزها ملحمة « ماناس » المشهورة — تم حتى الان جمع اكثر من ٢٠٠ الف بيت منها والعمليةلم تنته بعد بل جارية على قدم وساق .

ولهذه القومية لغة خاصة من ارومة اللغة التركية ، تتخذ الحروف العربية ، اعيد استعمالها فى السنوات الاخيرة بعد فترة من التوقف .

الواحة النارية وابناء قومية ويغور

بقلم : تشيو هوان شينغ

في وقت ليس بعيدا ، سافرت بالطائرة من بكين الى منطقة شينجيانغ ، وبعد اكثر من ثلاث ساعات وصلت حاضرتها ارومتشى التى تبعد عن بكين ٢٨٠٠ كيلومتر .

فى « الواحة النارية »

كان هدفى محافظة توربان الواقعة فى جنوب شرقى مدينة ارومتشى وتبعد عنها ١٨٠ كم . وتشتهر بالعنب والبطيخ . وعند الظهر دخلت السيارة فى حوض توربان الذى يسمى « الواحة النارية » منذ القدم ، ويعتبر أشد مكان حرارة فى الصين . ويقول المحليون بانه يمكنك فى الصيف ان تشوى الرغيف لو وضعته على سطح الحجر . واذا ادخلت بيضة فى الرمال فقد تنضج فى عشر دقائق . . الحرارة على سطح الارض فى الظهر تصل الى ٣ر٨٢ درجة مئوية .

ها قد جئنا الى مدينة توربان . وما ان دخلنا هذه المدينة القديمة الخضراء حتى رأينا جدولا يجرى فيه الماء الصافى وحورا صفا تلو صف ، فشعرت فى الحال بالطيبة تصل الى اعماق احاسيسى .

واتفق ان ذلك اليوم صادف السوق الدورية التي يسميها المحليون « الباز» . فالشارع مكتظ بالناس ، منهم من يبيعون ومن يشترون . وتحت ظلال الاشجار جماعة من الرجال الذين يلبسون قبعات مطرزة يتأملون سجاجيد حائطية . ولاحظت بضع نساء يلبسن فساتين زاهية مررن بنا وكل منهن تحمل جهاز تسجيل جديدا ، راكبات الحمير . اين تتصاعد رائحة الكباب اللذيذة ؟ انها رائحة تجتذب الزبائن وخاصة بالنسبة الى انا القادم من بكين .

ان السيد شى ده فانغ موظف محلى من قومية هوى ، ويعرف التكلم باللغة

الويغورية ، كان مترجما لى ومرشدا . ذات يوم زرنا معا كومونة وشينغ (النجوم الخمسة) .

تقع هذه الكومونة فى احدى ضواحى مدينة توربان . وقبل دخولنا القرية رأينا حقولا قمحية ذهبية وحقولا قطنية خضراء . البيوت مصنوعة من اللبن ، سطوحها منبسطة ، وهناك الاطفال يقضون بعضا من اوقاتهم على المراجيح المعلقة على الاشجار التى تتخلل البيوت .

وقادنى احد الكوادر الكومونيين الى زيارة آبار «كارزين» — انفاق رى متصلة بعضها ببعض ، وهى مشاريع نادرة لحفظ المياه والرى فى توربان . يقال ان فى توربان ٩٧٢ نفقا منها ، يبلغ طول الانفاق المغلقة الاجمالى ٢٥٠٠ كم ، ومقدار مياه التدفق سنويا خمسمائة مليون متر مكعب .

المجاهدون فى صحراء غوبى

ان حزام الاشجار المتكونة من العناب والصفصاف والحور يحمى القرية من امتداد صحراء غوبى . هذا الحزام يقع فى شمال القرية ويلعب دورا فى مقاومة الرياح والرمال ، طوله خمسة كيلومترات وعرضه ٣٠ مترا ، وهو الذى زرعه الكومونيون تحت قيادة الكادر القروى روتى توردى . وحينما أتينا الى منزل توردى عرفنا انه قد عاد لتوه من حقل القطن . وهو شيخ طويل القامة فى الستين من عمره ، ويمتاز بالطيبة والبساطة . خلع قبعته المزركشة . وبدأ يحكى لنا : فى اواخر مايو من سنة ١٩٦٢ ، هبت على قريته عاصفة رملية وخربت كل المزروعات ونصف الاشجار تقريبا ، ما العمل ؟ هل ندعها تهدد البلدة ؟ لا والف لا ! فصمم مع جميع القرويين على مكافحة العاصفة والرمال .

ان تارلن الذى يبعد عن القرية ٥٨ كم جدول كبير فيه مياه ذائبة من ثلوج جبال تيانشان ، ولكن مياه تارلن بعدما تجرى الى داخل صحراء غوبى تتلاشى ولا يظهر لها اثر .

ومن اجل جلب المياه لتثبيت الرمال وارواء الاشجار ، نظم توردى ، بتأييد من الحكومة الشعبية ، ١٢٠٠ فرد من ابناء قوميتى ويغور وهوى فى شتاء سنة ١٩٦٤ جاءوا الى صحراء غوبى . وقد شقوا بالمعاول قناة بطنوها بالحجارة والاسمنت لمنع تسرب المياه . وقد تم انشاء القناة فى مدة سنة واحدة .

وقد مضت مدة ستة عشر عاما ، وظهر اليوم « سور عظيم أخضر» ووراء السور الاخضر غابة من اشجار التوت وكروم وحقول واسعة .

العشاء تحت عريشة العنب

فى المساء ، جئنا الى بيت الكوموني عبلى ميتى . هذا البيت بيت ويغورى عادى ، وامامه قناة مبطنة بالحجر ، فناؤه كرم العنب ، الى جانب شجرتى مشمش يتفيأ الناس تحت ظلالهما .

رب البيت لم يعد بعد ، اما صاحبته فسافرت الى مدينة ارومتشى . فاستقبلتنا ابنتهما واكرمتنا . ودعتنا للجلوس على سرير كبير ، لنشرب الشاى ونتجاذب اطراف الحديث . فانشغلت معنا ، اذ هى مشغولة دائما ، فحينا تذهب الى بستان وراء البيت لتقطف بعض الخضار وحينا آخر تقطف المشمش وبعد ذلك تدخل المطبخ . . . ويقول المثل الويغورى القديم : الضيف القادم من بعيد يجلب السعادة لك . هذه الفتاة مثلها مثل الآباء تحتفى بالضيف . فقومية ويغور قومية مضيافة ولها تقاليد وعادات طيبة للحفاوة بالضيوف .

وعندما أنزل الليل ستاره عاد رب البيت مع ولديه . وهو فى الثالثة والخمسين من عمره وعيناه تلمعان بالذكاء . حيانا وهو يضع يده اليمنى على صدره ، ثم صافحنا ترحيبا بمجيئنا .

حان وقت العشاء ، وجلسنا مع افراد هذه العائلة الى منضدة عليها انواع من الاطعمة التى يحبها الويغوريون مثل الفطير الزيتى و« النانغ » (الفطير المشوى المصنوع من الدقيق والسمنة) . وحثنا المضيف ان نأكل ونأكل ، ثم سمعت صوتا « باش » ، فالتفت متعجبا ورائى . آه ، مشمشة ناضجة سقطت ! وبعدما تناولنا العشاء وضعت الفتاة صحنا من المشمش ، بعضه أصفر والآخر ابيض او وردى ، فتذوقته فوجدته حلوا لذيذ المذاق . . احلى مشمش أكلته فى حياتى . وقال لى صاحب البيت : « لم يصادف وجودك موسم نضج العنب ، ولو تأخرت شهرا واحدا لتذوقت العنب . فانه ألذ ما يكون ! »

وادى الكروم

وادى الكروم يبعد عن مدينة توربان عشرة كيلومترات فى شمال شرقيها ،

يبلغ طوله خمسة كيلومترات وفيه يجرى نهير متعرج ، على جانبيه تنبسط اشجار الكروم ، وترتفع بيوت لتجفيف العنب شكل كل منها بشكل القلعة على الجبل الذى يشرف عليه . وهناك فى تلك البيوت تتدلى عناقيد العنب التى تتحول بعد شهر الى زبيب اخضر اللون .

فى بستان الكروم التابع لفيلق السعادة فى كومونة العنب رأيت الخبير الويغورى فى تربية السلالات . . انه جليل الرحمان (٥٨ سنة) . واخبرنا بانه لم يوجد فى الماضى هنا الا ست سلالات من العنب ، والآن يوجد ١٤ سلالة . وفى الايام الاخيرة قد نجحت تجربة سلالة جيدة جديدة ، يطلق عليها اسم « مانيز الخريفى » ، وهو يتميز بقشرة غليظة قليلا ومحصول عال ويدوم وقتا طويلا .

عند الاستراحة سمعت النساء ان غريبا جاء ، فأتين . ومنهن شابتان كانتا تتهامسان ، ثم قالتا فى أدب ورقة : « نحن نجيد الرقص ، فهل يمكنك ان تلتقط لنا صورا ؟ »

ان قومية ويغور محبة للغناء والرقص . فكلما اقبل العيد او اقيمت حفلات الزفاف او حانت الراحة او عندما يتظلل الناس تحت الاشجار وحتى وهم يتمشون فى الشوارع كلما سمعوا صوت « راوابو» رقصوا فرحا . وتلك المرأة الراقصة اسمها زهرة الرمان . ورقصاتها الحلوة جعلتنى أتذكر كلمات الاغنية الرائجة فى وسط الجماهير : قد نضج عنب توربان ، وأنتشى قلب زهرة الرمان من الفرح ، ...

قومية القازاق فى مروج جبال تيانشان

بقلم : تشيو هوان شينغ

منذ زمان بعيد ، كان فوق جبال تيانشان بحيرة رائقة صافية يسبح فيها سرب من البجع . وذات يوم صارت اجمل بجعة من هذا السرب فتاة جميلة احبت راعيا كان يرعى الاغنام على شاطئ البحيرة ، وتزوجت به . هذه الفتاة كانت اصلا حورية تعيش فى جبال تيانشان ونزلت الى هذه الدنيا حبا بهذا الراعى النشيط . وبعد الزواج كانا يرعيان الاغنام كل يوم فى شاطئ البحيرة ، وانجبا بنين وبنات تحدرت منهم قومية القازاق . هذه حكاية عن اصل قومية القازاق . ويستشف من هذا ان القازاقيين القدامى اهل بداوة . وما زال القازاقيون اليوم يعيشون حياة الرعى بصورة رئيسية سواء كانوا فى شمال تيانشان من شينجيانغ او فى مقاطعتى تشينغهاى وقانسو ، فلذلك يسمون « قومية الفرسان » .

وبعد زيارتى لقومية ويغور فى تورفان سافرت بالقطار الى محافظة باركول الذاتية الحكم لقومية القازاق .

تقديم رأس الضأن

سارى شوق هى احدى الكومونات الرعوية فى محافظة باركول ، عدد سكانها اكثر من عشرة آلاف كلهم من قومية القازاق على وجه التقريب .

كانت سيارتنا الجيب مترجرجة فى طريق بدائى فى المروج فوصلنا بعد ساعة واكثر الى منزل الكومونى راقم من فيلق الرعى الاول ، ولكنه كان قد سافر الى مدينة هامى ، فاستقبلتنا . ربة البيت حليمة مع اولادها . وحليمة ام حنون وزوجة كريمة الاخلاق فى السابعة والخمسين من عمرها تقدمتنا فى دخول الخيمة . ثم حملت لنا الشاى الساخن بالحليب والجبن وخبز الرعاة ومكعبات السكر وهذا

الشاى بالحليب والملح ذكى الرائحة يطفىء الظمأ ويغذى ، فشربت ثلاثة اكواب منه تباعا ، ثم اسرعت فى تغطية الكوب بيدى تعبيرا عن الكفاية ، والا فستواصل ربة البيت سكب الشاى .

وعند المغرب لونت الشمس الغاربة جبال تيانشان الشامخة وغابات الصنوبر الخضراء والمروج الشاسعة بلون ذهبى هادىء .

فى مكان قريب منا اضطرب فجأة قطيع من الاغنام ، آه ، كان ولدها الاكبر احمد يختار ضأنا حوليا سمين الالية لاكرامنا . وقد يبلغ وزن دهن الالية وحده حوالى ٧٫٥ كغم . ولحم هذا الضأن طرى ولذيذ وهو طعام ممتاز لاكرام الضيوف .

جر ولدها الضأن الذى اختاره الى داخل الخيمة ، بعدما أدى « الدعاء » حسب التقاليد الاسلامية وذبح الضأن . وهو ماهر سريع فى عمله ، حتى اننا شممنا رائحة مغرية تنفذ من القدر بعد ساعة واحدة .

وقبل تناول اللحم حمل احمد ابريقا من الماء وطستا لغسل اليدين . وكان يصب الماء من الابريق باحدى يديه ويمسك الطست بالاخرى ، وغسلنا ايدينا ثلاث مرات حسب العادة ، ثم لا يسمح بتجفيف الماء بنفض اليدين بل يجب ان تجفف بالفوطة .

وقبل الاكل ، قدم المضيف رأس الضأن فى طبق ، ترحيبا بالضيوف الكرام وتكريما لهم . فبادرت بارشاد الدليل لو دا الى حمل الرأس بيدى اليسرى ثم قطعت أذن الذبيحة اليمنى بسكين لاقدمها لولده الاصغر ، ثم قطعت قطعة من لحم الخد ووضعتها فى الطبق وأخيرا أعدت الرأس فى الطبق الاصلى الى المضيف باحترام تعبيرا عن الرضى والشكر له .

بعدئذ حمل احمد منسفا من اللحم الناضج اللذيذ فبدأنا نأكل فى لذة شديدة وأثنيت على المضيف قائلا ان هذا ألذ لحم ضأن اكلته فى حياتى . قالت ربة البيت بسرور : « فى هذه السنة كانت الامطار غزيرة ، فنما الكلأ نموا جيدا ، واصبحت المواشى سمينة قوية . . . »

فى صباح اليوم التالى ودعتنا ربة بلبن حامض حلو .

قومية الشعر والاغانى

القازاقيون يتسمون بالمروءة وانشراح الصدر ، ماهرون فى رواية الاشعار

والغناء . ولذا لقبوا منذ القديم « قومية الشعر والاغاني » يمجدون الاغاني والجياد معا قائلين ان « الاغنية والجواد جناحان للقازاقي » . يغنون ارتجالا اثناء الرعي والارتحال او في الاعياد او عند ضيافة الضيف وتوليد الاغنام وجز الصوف . فلا يفارقون الاغاني طول حياتهم واذا رأى الوليد النور يغني اقرباؤه واصدقاؤه « اغنية التهنئة » المرحة واذا توفي الشيخ ينشد الاهالي المعزون « اغنية الحزن » التي تشيد بفضائل الراحل . كما يقول المثل المحلي : في الميلاد تفتح لك الاغنية باب الدنيا وفي الوفاة تفتح لك الاغنية باب الآخرة .

ولقومية القازاق عادات وتقاليد منها تقاليد الزواج اذ يقام في حي العروس مهرجان سباق الخيل وخطف الغنم من على ظهور الجياد ومطاردة الفتيات للفتيان في اليوم الاول والثاني من الزفاف . وفي اليوم الثالث يجتمع الاهالي في قبة العروس ، ويغنون « اناشيد العرس » ، ويشجع المسنون باغانيهم العروسين على الجد والاجتهاد والاقتصاد واحترام الكبار وحب الصغار ، ويدعو لهما الشبان بالرفاه والبنين . . . . اما العروس والعريس فيتحاوران بالغناء :

« يا وردتي — العروس الجميلة ، اخبريني بلا خجل ما هي البشرى في ربيع السنة القادمة لاعلانها امام الناس ؟ »

« يا نسري الجبلي — العريس الشجاع ، سوف تعشوشب المروج وتسمن الاغنام ، وتجثم العنقاء على شاطئ الجدول وسيرافق الحمل الوليد طفلا سمينا جديدا فتعم المروج السعادة المزدوجة . »

مطاردة الفتيات للفتيان

في اليوم الثاني من وصولي الى وادي ووتشانغ ، اتفق ان احد الاقارب للراعي رمضان قد عاد من تركيا ، فالاهالي مجتمعون هناك للترحيب بالضيف القادم من البلاد البعيدة ، مما أتاح لي فرصة حسنة لمشاهدة نشاطات مفعمة بمشاعر سكان المروج .

قام رمضان من النوم مبكرا واخذ يشتغل مع الاخرين في نصب قبة لبادية مؤقتة . وبعض الرجال ذبحوا الاغنام ، واحضرت بعض النساء الماء استعدادا للشاي باللبن وصنعن اصنافا من الاطعمة . . . . وعندما حان وقت الغداء اخذ الناس يجلسون في حلقات حول الطعام المهيأ (وعلى كل شخص كبير او

صغير ان يتناول شيئا من هذا الطعام والا اعتبر مخالفا لتقاليد الضيافة) . وبعد الطعام والشراب بدأت العروض التقليدية منها « مطاردة الفتيات للفتيان » وخطف الغنم من على ظهور الجياد والمصارعة وغيرها ، مما جعل هذا اللقاء السعيد يبلغ ذروة البهجة .

ان « مطاردة الفتيات الفتيان » واحد من عروض الفروسية من قومية القازاق وكذلك فرصة يعبر فيها الشباب والشابات عن الحب ، وهذا العرض مفعم بالمشاعر الرومنطيقية . فى بدء العرض تبدى الفتاة التى ترتدى فستانا احمر فضفاضا ، شيئا من الخجل ، عندما يتقدم منها شاب يقود جوادين فتعرض عنه بدلال فى حين يظل الفتى ينتظرها بعض الوقت ، واخيرا تتناول منه الزمام .

بعد ذلك يمتطى الفتيان والفتيات الخيل مثنى مثنى . ويسيرون فى البداية رويدا رويدا جنبا الى جنب ، وفى هذا الوقت يمكن لأى شاب ان يعبر عن حبه لفتاته او عن مشاكسته ، وعلى الفتاة التى قد يحمر وجهها من الخجل ، ان تحتمل ذلك بصبر . ولكن ما ان يصلوا الى نقطة محددة حتى يسارع الفتيان عائدين ، لكى يتجنبوا السوط الذى تهدد به الفتيات . وفى الواقع انهن لا يضربن الفتيان بل يرفعن السياط عاليا ويلوحن بها فوق رؤوسهم تعبيرا عن انتصارهن . ولم أر غير شابين أصيبا بضربات خفيفة ، ربما اثارت مشاكستهما غضب الفتاتين او كان ذلك بسبب شكوى الفتاتين من عدم تقدم زميليهما فى فن الفروسية .

وهنا تحمس بعض الشيوخ من المشهد النابض بالحياة فدعوا بضع عجائز القيام بـ « مطاردة العجائز للعجائز » . ومع أنهن متقدمات فى السن فهن ما زلن ماهرات فى الطراد . وهناك عجوز لحقت بشيخ فنزعت قبعته مما جعله يجرى شوطا مكشوف الرأس فأضحك ذلك المشاهدين ضحكا شديدا .

متشرد اصبح نائب رئيس المحافظة

بعدما ودعنا افراد عائلة رمضان ، عدنا الى مركز المحافظة مرة اخرى . وفى المساء ذهبت الى رئيس المحافظة كريمجان ، حيث تعرفت منه على احوال تطبيق الحكم الذاتى للاقلية القومية .

فى محافظة باركول حوالى مائة الف نسمة ، بينهم أكثر من عشرين ألف من ابناء القازاق . وقد منحت هذه المحافظة الحكم الذاتي فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ .

بالنسبة الى عناية الحكومة الشعبية بالمناطق التى يطبق فيها الحكم الذاتى للاقليات القومية قال كريمجان ان لهذه المحافظة دخلا محليا يبلغ مليونى يوان سنويا ، وهذا المبلغ كله تحت تصرف هذه المحافظة حسب سياسة الدولة المتعلقة بالاقليات القومية . وفوق ذلك تعتمد الحكومة الشعبية كل سنة مبلغا من اجل الشئون القومية ومبلغا لبناء منطقة الحدود والمناطق غير النامية . من هذه المعونات

معلومات عن القازاق

قومية القازاق ۸۰۰٫۰۰۰ نسمة منتشرون فى ولاية ايلى الذاتية الحكم وفى محافظتى باركول ، ومولاى الذاتيتى الحكم ومحافظة اورومتشي والى جانب ذلك ، هناك جزء منهم يسكنون فى مقاطعتى تشينغهاى وقانسو (شمال غرب الصين) .

ولقومية القازاق تاريخ قديم . ففى القرن الثانى قبل الميلاد كانت فى وادى نهر ايلى قبيلة تدعى قوم ووسون ، وهم اسلاف القازاق . وفى اواسط القرن الخامس عشر اصبحت القازاق قومية مستقلة .

ان لغة القازاق تنتمى الى ارومة اللغة التركية ، وبعد القرن العاشر دخل الاسلام شينجيانغ ، ثم استخدم ابناء القازاق الحروف العربية ، وفى اوائل القرن العشرين وضعت حروف لكتابة اللغة القازاقية . وفى سنة ۱۹۵۹ وضعت وطبقت كتابة القازاقية الجديدة بالحروف اللاتينية وتستعمل الآن الحروف الجديدة والقديمة فى نفس الوقت فى الكتب المدرسية والصحف والمجلات .

القازاق يعتنقون الاسلام ويحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى ولكن ليست لهم مساجد ثابتة بسبب حياتهم الرعوية .

مثلا بنت كومونة سارى شوق دار سينما قبل ثلاثة اعوام . وفى سنة ١٩٨٠ اعادت بناء مستشفى الكومونة ، وقامت بتوسيع بناء المدرسة القومية ومدة الدراسة فيها عشرة اعوام .

وانطلاقا من المساواة بين القوميات فان اللغة القازاقية واللغة الهانية متداولتان فى نفس الوقت سواء فى المؤتمرات او المحاكم او كتابة لافتات الدوائر والمتاجر . وكذلك شهد الاعتقاد الدينى والعادات والتقاليد لابناء القازاق احتراما واهتماما .

وقال كريمجان ايضا : « فى ما يتعلق بالحكم الذاتى للقومية أرى ان اهم شئ هو تكوين الكوادر من ابناء الاقليات القومية لكى يديروا شؤون انفسهم بانفسهم . » وفى الوقت الحاضر ، فى كومونة سارى شوق راعية اسمها بيكين وهى الآن عضوة اللجنة الدائمة المجلس الوطنى لنواب الشعب . والى جانبها هناك رئيس المحافظة ونائباه ورؤساء دائرة الامن والنيابة العامة ومحكمة المحافظة جميعهم من ابناء القازاق ، منهم نائب رئيس المحافظة سامى كان هو شريدا طريدا فى مروج تشينغهاى .

قومية تاجيك على هضبة البامير

في اغسطس عام ١٩٨١ زرت اهالى قومية تاجيك على هضبة البامير (البامير معناها سقف العالم) الواقعة على حدود الصين الغربية . وقد سميت فى الكتب التاريخية الصينية « جبال البصل » اذ ينبت عليها بصل برى كثير .

طريق الرواد

تقع محافظة تاشكورقان فى شرقى هضبة البامير . . فيها قمم شواهق على ارتفاع ٥٠٠٠ متر فوق مستوى البحر ، معممة بالثلج الكثيف وخطيرة بالاودية الجليدية ، تزخر بمناظر جميلة فتانة تحت الشمس الباسمة وهى تتلألأ بنور باهر مثل قمة موشتاق (٧٥٤٦ مترا) وقمة كوقر (٧٧١٩ مترا) وقمة تشياقى (٨٦١١ مترا) .

واعتبرت تاشكورقان بوابة فى حدود الصين الغربية ونقطة هامة على طريق الحرير الممتد من كاشغر – تاشكورقان – كشمير . وظل هذا الخط فى نظر السياح الصينيين والاجانب منذ القدم طريقا خطرا صعبا بسبب علو الجبال وبرودة الجو وقلة الاكسيجين . ولكن كثيرا من الرواد والرحالة عبروه ومن بينهم الرحالة الايطالى ماركوبولو .

وعلى هذا الخط وصلت الى تاشكورقان .

مدينة جبلية على الهضبة

تاشكورقان فى اللغة الويغورية تعنى « الحصن الصخرى» اذ بقرب حاضرة المحافظة حصن قديم ضخم مبنى من الصخر والتراب .

وتسمى القومية نفسها « تاجيك » ومعنى « تاجى » تاج الملك على لسان الشعب . القومية عريقة التاريخ تعيش فى هضبة البامير منذ القدم وتاشكورقان مركز لنشاطاتها – فيها ١٥٠٠٠ من بين ٢٢٠٠٠ تاجيكى .

ويوم وصلت الى حاضرة المحافظة على ارتفاع ٣٢٠٠ متر فوق مستوى البحر ، رافقنى دليل من قومية تاجيك بعد الظهر الى الحصن القديم الذى بنى على تلة شمال المحافظة . فبدأ بشموخه البارز وضخامته الرائعة كأنه حارس قوى جبار . وما زال فى شمال الحصن وغربه قطع سليمة من السور عليها شرفات مفرجة . ويمكن تمييز الطرق والجدران بين حطام الحصن المغطى بالحصى والحفر . وجاء فى الحكايات ان الحصن حطم فى نيران حرب لكنه ترك اثرا بارزا شهادة على ازدهار طريق الحرير وقسوة الحروب .

عادة التقبيل

تفيض المدينة الجبلية زحاما وضجيجا فى يوم الاحد مع ان عدد سكانها لا يزيد على ٣٠٠٠ نسمة . وعندما تجولت فى الشوارع المزدحمة لفت انتباهى منظر عجيب . فقد رأيت ٤ فتيات يتعانقن فى قبلات حارة على جانب الطريق ثم وجدت كثيرا من المارة يتبادلون القبل تحية عند اللقاء . . الصديقان يتصافحان ويقبل كل منهما يد الآخر ، والصغير يقبل يد الكبير الذى يقبل خد الصغير ، والمرأة المسنة تقبل عينى الفتى او الفتاة وهو او هى يقبل راحة يدها ، والنساء فى سن متقاربة يتبادلن القبلة على الخد والحميمات على الشفة . . .

فى بيت دليلى صادفت عمة فى الـ ٦٧ من عمرها ، قبلت عينى دليلى الذى قبل يدها ثم بادرت الى مصافحة يدى اليمنى وقبلت يدى (ربما عاملتنى معاملة احترام لانى من قومية هان) فقبلت يدها .

واخبرنى دليلى ان هذه العادة تقليدية عامة فى قومية تاجيك .

المزمار المصنوع من عظام النسر

تحوم الالحان الرخيمة من عزف المزمار المحلى فى المروج ويحرك دوى الدف المجلجل القلوب فيخف الناس يرقصون ويغنون . كان هذا مظهرا رائعا رأيته فى هضبة البامير .

كانت حركة انتخاب نواب الشعب تجرى فى كومونات المحافظة . فرافقنى احد قادة المحافظة الى كومونة تاخمان للاشتراك فى مهرجان الاحتفال .

وقت وصولنا كان المهرجان فى اوجه ، يرقص راعيان عجوزان اشعثا اللحى ، كلاهما بقبعة سوداء طويلة من القطن وحذاء احمر رافع الرأس من الجلد يرقصان

فى حركات جميلة رشيقة تتغير مع تغير الالحان . وحتى عندما اصبحت الالحان سريعة الايقاع يهز كلاهما كتفيه فى خفة وبراعة مما عبر كل تعبير عن كرم الرعاة وبساطتهم وفرحهم . فلقى العجوزان تصفيقا حارا .

عند الرقص تعزف قومية تاجيك بالمزمار والدف فقط . الدف بقطر ٥٠ سنتيمترا مصنوع من جلد الفرس او الغنم والمزمار مصنوع من عظام جناح النسر بطول ٢٠ سنتيمترا وقطر ٥ر١ سنتيمتر من دون لسان وبه ٣ ثقوب وهو آلة تقليدية مفضلة لدى القومية .

خطف المعز وسباق الفرس

احفل النشاطات فى احتفال قومية تاجيك خطف الماعز وسباق الفرس — لا بد منها فى الافراح والاعياد .

لاول مرة شاهدت مباراة خطف الماعز فشعرت بعجب وفرح . المباراة تقضى على ان لا يطعم المشترك جواده مساء قبل يوم المباراة خوفا من بطء الجواد ويذبح المقيم ماعزا ، يقطع رأسه ويخرج كل ما فى بطنه وينظفه بالماء ثم يقطع كوارعه الاربعة ويكسر عموده الفقرى فيصبح الماعز صالحا لخطف المشتركين .

تجرى المباراة فى مساحة واسعة من الارض الجرداء ، يتجمع فيها المشتركون على جيادهم ، فى خصر كل منهم حزام ملون . يفتتح المباراة المقيم بطرح الماعز على الارض فيندفع المشتركون لالتقاط الماعز من على الجياد ويرمق الملتقط وهو يضغط الماعز على رجله اليمنى والآخرون يطاردونه لخطف الماعز ويمكن لذى القوة وعلى جواد سريع ان يقبض على احدى ارجل الماعز فيخطفه بنجاح . واحيانا يتساوى جوادان او ثلاثة فى الركوض والفرسان يتنازعون فى عنف .

واذا تعب المتلقط القى الماعز على الارض لتهرع عشرات الجياد ، يخطفه الفرسان فى نزاع حاد وزحام شديد .

مباراة خطف المعز التى تقوم بها قومية تاجيك تختلف عما هى فى قومية قازاق وقرغز اذ انها اكثر حدة وعنف . واقتربت من الجياد المتراكضة فكدت اطرح على الارض مرات كثيرة ومن حسن حظى ان حمانى دليلى . وبعد مباراة خطف المعز اقيم سباق الخيل فتسابق ٢٤ فارسا فى قطع ٣٠٠٠ متر ، وفاز الاول بساعة طاولة كمكافأة .

لمعلوماتك

قومية تاجيك ٢٢٠٠٠ نسمة يسكنون فى جنوب غربى شينجيانغ ، ١٥٠٠٠ منهم فى محافظة تاشكورقان وغيرهم فى محافظات شاتشه ويتشنغ وجبو وبيشان .

لغة القومية من الارومة الهندية - الاوربية ، دون كتابة وفى الكتابة تستخدم اللغة الويغورية .

تمتاز القومية بأدب شعبى متنوع مثل الحكايات والقصص والامثال بسيطة الوصف عميقة المنطق مثل « تباهى حمار اجتاز الخندق فى وثبة بانه حصان » ، « السيل البطئ يأكل الوادى من وقت طويل » ، « من لسعه اللبن الساخن خاف من الماء البارد » .

تعتنق القومية بالدين الاسلامى وتنتمى الى المذهب الاسماعيلى . ومساجدها قليلة ، ويشرف رجال الدين على مراسيم الزفاف والحداد والامور المتعلقة بالشؤون الدينية .

قومية اوزبك فى شينجيانغ

بقلم : شينغ نان

قومية اوزبك ٧٥٠٠ نسمة (احصاء ١٩٧٨) ينتشرون فى منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم . وقد انتقل اسلافهم من اواسط آسيا منذ القدم .

من مختلف الحرف

وبسبب انتشار القومية تغلبت على صعوبات كثيرة حتى وجدت مكانا اكثر سكانا من القومية — محافظة شاتشه فى جنوبى شينجيانغ .

فى محافظة شاتشه ٢٧٠ عائلة من قومية اوزبك تعدادها ١١٧٤ نسمة يسكنون فى الحارتين الرابعة والخامسة من حاضرة المحافظة ، ويعملون فى التجارة والخدمات والاشغال اليدوية وغيرها ، فمنهم مدرسون واطباء وعمال وخياطون وحلاقون وصانعو احذية . . تكاد تجد فى كل الحرف عددا منهم . وهم على علاقة حميمة مع اهالى قومية ويغور .

زاول معظمهم التجارة منذ قديم الزمان ، وقليل منهم الاشغال اليدوية . فاستقرت اقامتهم فى المدن والبلدات .

وفى المحافظة زرت مدير دكان الادوات المعدنية الصغيرة — نعمان جيانغ من قومية اوزبك . وعندما وصلت الى دكانه كان مشغولا فى استقبال الزبائن ونعرف لاول نظرة انه تاجر محنك . ولما كان فى عمل متواصل لم يجد وقتا للحديث معنا ، دعانا الى بيته فى اليوم التالى . وكانت تلك فى الحقيقة رغبتى ايضا اذ ستسنح الفرصة للتعرف على حياته .

ذهبنا فى الموعد الى بيته حيث رأيت اول اختلاف عن قومية ويغور . فعلى

كل من البوابة والابواب قطعة من القماش المشجر كستار وهذا المظهر يعم كل العائلات التى زرتها .

ويضم بيته غرفا قديمة رحبة بناها أبوه ، مفروشة بالاثاث الرائع والسجاجيد الثمينة والجدران مزينة بستار جميل من التطريز الاوزبكى . ومن الواضح ان معيشة القومية حسنة سعيدة .

نعمان جيانغ (٥٥ سنـة) له ٦ اولاد وبنت واحدة وعدد من الاحفاد ، بعضهم يعملون فى الخياطة والبعض الآخر فى التجارة او الصناعة . وقال لى : « اننا نحن التجار من قومية اوزبك فى رعاية الحكومة منذ اكثر من ٣٠ سنة . فنعمل بجد وسرور . وحجم المبيعات شهريا كبير فى دكاننا . وقد اصبحت موظفا واخترت نموذجيا فى التجارة . »

عائلة من طلبة جامعيين

فى مدرسة المعلمين القومية بكاشغر مدرس للرسم (٥٢ سنة) يدعى مطلب ، من اولاده الاربعة ٣ طلبة جامعيين . لذا تقت الى زيارته .

عندما وصلت الى بيته الواقع فى دار عادية كان هو وزوجته يعملان فى الرى وتقليم الاغصان بالحديقة التى تزخر بعناقيد العنب على وشك النضوج ، وبالورد وغيره من ٢٠ زهرا مما دل على هواية المدرس بالطبيعة والجمال .

واحتفى بى المدرس بشراب الورد الذى صنعه بنفسه من الورد والسكر .

وارتشفت الشراب اللذيذ وانا امتع نظرى برسوم المدرس الذى عمل فى تدريس الرسم ٣٠ سنة . وقد انتشر طلبته فى منطقة كاشغر وبعضهم اصبحوا اعضاء فى اتحاد فنانى شينجيانغ .

وزوجته مدرسة فى المرحلة الابتدائية . وولده البكر قد تخرج من الجامعة ويعمل الآن مترجما . والبنت الكبرى والولد الثانى ما زالا فى الجامعة لدراسة علم الرى او المحاسبة . والبنت الصغرى تدرس فى المرحلة الثانوية استعدادا لدخول الجامعة .

وقلت له : « ان عائلتك من مثقفين . » وقال متأثرا : « لولا معونة الدولة لما امكننا الانفاق عليهم فى الدراسة .انهم يتمتعون بالمنحة الدراسية او المعاملة المجانية فى الأكل . »

نائبة بمجلس نواب الوطنى

مع ان عدد القومية قليل الا ان لها مكانة متساوية فى الصين المتعددة القوميات ، تتمتع بمقعد فى مجلس نواب الشعب الوطنى - هيئة السلطة العليا فى الصين (لكل من قومية تاجيك وقرغز وتاتار مقعد فيه) . وصاحب هذا المقعد الوحيد فى محافظة شاتشه .

انتخبت نوار ابراهيم (٤٧ سنة) نائبة بالمجلس الوطنى قبل سنوات . وهى ام ٥ اولاد ، معتدلة القامة مبتسمة الوجه ، تتولى منصب نائب رئيس الحارة السابعة من حاضرة المحافظة .

ولم تكن زيارتها سهلة فقد بحثت وقتا طويلا حتى وجدتها فى احدى الدور تستمع الى آراء السكان . وفى حارتها ٣٠٠ عائلة (١٣٨٣ نسمة) ، من ضمنها ١٢ عائلة من قومية اوزبك والباقى من قومية ويغور . وتتركز اعمال نوار الروتينية على الاهتمام بمعيشة السكان ومساعدتهم على حل الصعوبات ورعاية العجائز والمرضى كذلك معالجة النزاعات الاجتماعية . الى جانب ذلك تذهب الى بساتين الكومونة للعمل احيانا .

وسألتها : «كيف تمثلين ارادة الشعب ؟»

« اذهب دائما الى بكين للاجتماع مع نواب القوميات الاخرى فى مناقشة وتقرير شؤون الدولة . وقبل ذهابى احدد وقتا وافرا لزيارة اهالى قومية اوزبك والاستماع الى آرائهم وطلباتهم فأحضر الاجتماع بها . مثلا ، فى فترة سيادة عصابة الاربعة تعرض كثير من اهالى القومية لبلايا حطمت حتى مستقبل ابنائهم فى العمل والدراسة فطرحت مشروعا حول معاناتهم فى مؤتمر مجلس نواب الشعب بعد سقوط عصابة الاربعة ومن ثم حلت مشكلتهم وعادت لهم الحرية فى العمل والدراسة . »

وانتخبت نوار ، مؤخرا ، نائبة من نواب شعب حاضرة المحافظة والمحافظة ومنطقة شينجيانغ . وقالت : «ساعمل بمزيد من الجهد حتى امثل ارادة اهالى القومية تمثيلا حقيقيا . »

لمعلوماتك

قوميـــة اوزبك مـــن ٧٥٠٠ نسمة ، يعيشون مع قومية ويغور وقازاق في منطقة شينجيانغ .

لغـــة القوميـــة من الارومة التركية ، لها كتابة خاصة قليلة الاستعمال فتلجأ القومية الى اللغة الويغورية او القازاقية أو الهانية .

وتعتنق القوميـــة الاسلام ولا تشرب الخمر ولا تتناول لحـــم الخنزير والكلب والحمار . وتأكل لحـــم البقر والغنـــم والالبان والشاي مع اللبن واللحم مع البطاطس والعسل .

تحب القومية لبس القبعة الزاهيـــة المطرزة والمرأة ترتدي فستانا والرجل يرتدي جلبابا بحزام مطرز من دون ازرار .

شينغ نان : مراسل خاص للمجلة .

قومية هوى فى سهول الصين الوسطى

بقلم : فائق ما مراسل مجلتنا

مقاطعة خنان الواقعة فى المجريين الاوسط والاسفل للنهر الاصفر تسمى « السهول الوسطى » منذ القدم ، وهى مهد الحضارة الصينية العريقة . ليس هذا فحسب ، بل عائلة متعددة القوميات حسب الاحصاء السكانى الثالث فى سنة ١٩٨٢ ، حيث يتعايش بالمودة ٤٢ قومية شقيقة ، وهى الى جانب قومية هان قومية هوى ومنغوليا ومنشوريا وويغور وغيرها من الاقليات القومية . وتعداد قومية هوى يبلغ ٧٢٧ر١٤٦ نسمة . هذا العدد جاوز عشر عدد سكان هوى الاجمالى فى انحاء الصين .

قومية هوى احدى القوميات المسلمة العشر فى الصين . . كثيرة العدد واسعة الانتشار وعليه كانت لها تأثير عظيم ، حتى سمى غير قليل من الناس فى الماضى الدين الاسلامى « دين هوى» ، وكل المسلمين الصينيين « هوى هوى» .

ابناء قومية هوى فى خنان منتشرون فى المقاطعة باسرها . . يمكن القول انهم يوجدون فى كل مدينة وبلدة وفى كل محافظة . اما فى الريف فيقل العدد ، لماذا ؟ لأن معظمهم يمارسون التجارة عادة أو شبه التجارة وشبه الزراعة . قال لى احد الكوادر فى لجنة الشؤون القومية للمقاطعة : « يمتاز اهل هوى بصناعة المأكولات والفراء . ومنذ السنوات الاخيرة ، وبسبب ان الحكومة أذنت للافراد ممارسة التجارة الخاصة الفردية اخذوا من جديد يعملون فى المهن التقليدية . وقد اغتنى بعضهم . يقال ان غير قليل منهم يقدر على شراء الدراجة النارية وجهاز التلفاز والغسالة ، بل يكثر العدد يوما فيوما . ومن بينهم عائلات ذات عشرة آلاف يوان ، يعنى مالها المقتصد فى البنك يبلغ عشرة آلاف يوان .

حينما سألت عن الحياة الدينية لدى ابناء قوميـــة هوى اخبرنى كادر من قسم الاديان بان فى خنان ٣٤٤ مسجدا . وهم يتمتعون بالحياة الدينية فيها . وفى

السنة الحالية تستعد مقاطعتنا ومقاطعات شاندونغ وجيانغسو وآنهوى لاقامة معهد اسلامى فى مدينة تشنغتشو ، حاضرة خنان وسيقبل ١٢٠ طالبا .

ابناء هوى منتشرون هنا وهناك . . الى اية مدينة اذهب لالتقاط الاخبار ؟ فعزمت ان اذهب الى المدينة القديمة : كايفنغ .

طوت السيارة السهل الرحيب . . كنا فى اوائل الربيع ، السهل مخضر والاشجار مورقة : مثل الصفصاف والحور ، والازهار المتفتحة المبكرة تتباهى روعة وبهجة ، لقد سحرنى جمال الربيع . . ولم يعد يهمنى اين ستحط السيارة رحالها . وصلت الى كايفنغ كأننى استيقظ من حلم جميل .

« يا كايفنغ القديمة ، كيف حالك اليوم ؟ انت بخير بلا شك ! اذكر اننى مررت بك قبل اربعين سنة وكنت فزعا مرعوبا . . حينذاك قد احتلك الغزاة اليابانيون . . مررت بك مع والدى فرارا من الكوارث . . لقد رأيت صورتك الحزينة . وعرفت فيما بعد انك احدى المدن القديمة المشهورة واتخذتك سبع اسر ملكية فى التاريخ عاصمة لها . وعندك كثير من قصص البطولة والملاحم . كما قد قضيت سنوات فى بؤس وشقاء ! ولكنى اتيتك اليوم متشوقا الى ماضيك العطر . . بل اريد فهم القصص والامور المتعلقة بقومية هوى » .

المساجد القديمة

من المعروف ان التجار العرب منذ زمن يرجع الى اسرتى تانغ وسونغ الملكيتين (٦١٨ - ١١٢٧ م) وصلوا الى بعض المدن مثل مدينة تشيوانتشو (مدينة الزيتون) ومدينة قوانغتشو الواقعة على سواحل الصين الجنوبية ، حيث كانوا يتاجرون وطاب لهم المقام ، من يعرف ان بعضهم قد تغلغل المناطق الداخلية فى ذلك العهد حتى دخلوا مدينة كايفنغ ؟ كانت كايفنغ عاصمة اسرة سونغ الشمالية وقتها . كانت تعد ايضا من المدن العالمية . . يجتمع فيها التجار القادمون من مختلف البلدان . . من اندونيسيا والهند واليابان ، وبلاد فارس والعرب وافريقيا الشرقية . فوق ذلك دخل مدينة كايفنغ اعداد لا بأس بها من اليهود .

مسجد شارع ونتشو ، فيه نصب حجرى ، مكتوب عليه :

كان فى شارع ونتشو الواقع فى الشمال الشرقى من قصر الطبل فى مدينة بيانليانغ (اسم كايفنغ القديم) ، حاضرة خنان ، مسجد واحد ، انشاؤه فى أسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧ م) ومضى على انشائه عصر اسرة سونغ ويوان حتى

عصر الامبراطور وان لى من اسرة مينغ ، وجرى ترميمه لاول مرة . وفى سنة ١٦٤٣ قد غرق فى مياه النهر الاصفر ، بعد ذلك فى سنة ١٦٤٩ بنى من جديد واستغرق انجازه ٩ اعوام . . . .

المسجد الآخر القديم ، المسجد الكبير الشرقى ، رغم أنه فيما يتعلق بوقت انشائه غير معروف ، ولكن جرى ترميمه لاول مرة فى اسرة مينغ ايضا ، اى سنة ١٤٠٧ م . تبلغ مساحته اكثر من عشرة مو ، فيكون اكبر مسجد فى مقاطعة خنان . تخرب من فيضان النهر الاصفر فى اواخر اسرة مينغ (سنة ١٦٤٤ م) ، ثم بنى من جديد فى سنة ١٦٥٥ ، بعد ذلك تعرض للخراب مرة اخرى ، وبنى من جديد ، وعند زيارتى شاهدت أنه جرى ترميمه الشامل ، وسيشهد عصرا جديدا بلا ريب .

اصل قومية هوى فى كايفنغ والمنطقة المحيطة بها

رغم ان التجار المسلمين فى زمن يرجع الى اسرتى تانغ وسونغ سافروا الى كايفنغ ، حيث استوطنوا واخذوا فى بناء المسجد ، الا ان قومية هوى عاشت كقومية واحدة فى السهول الوسطى وخاصة فى كايفنغ والمنطقة المحيطة بها فى اواخر اسرة يوان واوائل اسرة مينغ ، اى اوائل القرن الثالث عشر . ذلك لأن المنغوليين قاموا بالحملة الغربية ، وبعد ان فتح جنكيزخان آسيا الوسطى وآسيا الغربية ، أتى المسلمون باعداد ضخمة الى الشرق ، ومن بينهم ابناء قومية هويخه (اسم قومية ويغور القديم) واهل آسيا الوسطى والفرس والعرب . كان بعضهم جندا وآخرون من الصناع والتجار . اما الجنود المسلمون فرابطوا فى انحاء الصين . هذا والجدير بالذكر ان بعض اسماء المطاعم التى أسسها اهل قومية هوى مثل « مطعم دونغلايشون فى بكين » يعنى المجئ الى الشرق بالتوفيق ، ومطعم شيلايشون ، يعنى المجئ من الغرب بالتوفيق . وهذا يدل دلالة واضحة على هذه الهجرة .

وفى اوائل اسرة يوان ركدت الزراعة فى منطقة كايفنغ . . تحولت اغلب الحقول الى مراع . وفيما بعد غير قوبلايخان سياسته : تحويل المراعى الى حقول . فلذا حشد ودعا اعدادا كبيرة من الجنود الهويين واصحاب الصنائع الى منطقة كايفنغ لاستصلاح الاراضى فى سنة ١٢٨١ . ومنذ ذلك العهد أخذوا يكدحون ويعيشون ويتزاوجون مع الهانيين المحليين وسائر القوميات ويتكاثرون . . اضف الى ذلك اسبابا اخرى مثل اعتناق الاسلام ، مما شكل قومية هوى بالتدريج .

وفى العصور الطويلة طرأت التغيرات على اهل قومية هوى ، منهم من غادروا هنا ومنهم من جاءوا من الخارج . فمثلا الاحصاء السكانى فى كايفنغ سنة ١٩١٠ اى فى اواخر اسرة تشينغ الملكية جاء فيه ان عدد سكان كايفنغ الاجمالى لا يزيد على ١٦٠ الف نسمة ، ويوجد منهم ٥٠ الف شخص من قومية هوى ، يأتى بعدها منغوليا ومنشوريا . . وهناك اليوم اكثر من ٣٠ الف شخص من قومية هوى . . انتقل كثيرون منهم الى مدينة شيآن ولانتشو وغيرهما من الاماكن .

قومية هوى فى كايفنغ اليوم

فى كايفنغ اكثر من ٣٠ الف شخص من قومية هوى ، يقيم معظمهم فى حى شونخه . فى هذا الحى ١٣٠ الف نسمة . . تأسست الحكومة الذاتية الحكم لقومية هوى ، واغلب كوادرها القياديين هم من ابناء قومية هوى .

وفى حى هوى توجد رياض الاطفال الهويين ومدرستان ابتدائيتان ومدرسة ثانوية ومستشفى .

يقال انه لم يوجد طلبة جامعيون من قومية هوى الا عشرة او اكثر قليلا فى اوائل تحرير كايفنغ ، واليوم وبناء على الاحصاء يوجد حوالى ٣٠٠ خريج من الجامعة او المعهد .

ان رفع المستوى الثقافى لدى ابناء قومية هوى سيغير بصورة جذرية الحالة المتمثلة فى « ان يملك هوى هوى ساطورين ، احدهما ليقطع لحم الغنم والآخر ليقطع تشيقاو (نوع من الاطعمة اللزجة) » .

زيارة الى المدرسة الثانوية الهوية

ذات يوم ذهبت لزيارة المدرسة الثانوية الهويية بمرافقة السيدة دينغ هوى ينغ الكادرة من اهل هوى ، وما ان دخلت بوابتها حتى رأيت ملعبها الشاسع . مثل هذا الملعب الكبير تندر رؤيته فى مختلف المدارس ببكين . عندما قدمت الى ناظرة المدرسة احوال الالعاب الرياضية ادركت انه يستحق اسم الملعب الكبير ، لأنه درب كثيرا من اللاعبين الممتازين . منذ سنين ظلت من المدارس المتقدمة الشهيرة بالالعاب الرياضية فى خنان . وحتى أتحدث الى المدرب الرياضى ، قادتنا الناظرة عبر الملعب الى الشعبة الرياضية . ولكن لم نر أثرا لمدرب . فتح لنا طالبان الباب ، آه ، ما دهشنى واعجبنى بل اول ما لفت نظرى هى

الرايات الحريرية الفخرية وشهادات التقدير التي تزين الجدار فوجدتها حوالى خمسين . وقال لى احد الطالبين : « فى درج المكتب يوجد مثلها ايضا . » وفى نفس الوقت اخبرتنى الناظرة بأن فى قاعة الاجتماعات يوجد غير قليل منها كذلك .

لماذا برزت فى الالعاب الرياضية ؟ هل يعود ذلك الى اتساع ملعبها ؟ لا ، كما قالت الناظرة فالملعب احد الظروف المساعدة ، ولكن السبب الاساسى يرجع الى الطلبة الهويين ، فهم ذوو اجسام قوية واصحاب خاطر سريع . ويشكلون ثلث مجموع الطلبة . لنأخذ فريق كرة السلة كمثل ، اعضاؤه ١٢ شخصا ، بينهم عشرة طلاب من قومية هوى . فريقنا لكرة السلة فريق مظفر دائما . فى سنة ١٩٧٩ ، فاز بالمركز الاول فى كايفنغ ، وفى سنة ١٩٨١ فاز فريق كرة السلة للاعدادية بالمركز الاول . وعليه أختيرت مدرستنا مدرسة نموذجية فى كرة السلة فى مقاطعة خنان . ومن اجل الدلالة على ميزات الطلبة الهويين فى الرياضة اخبرنى المعلمون بان فريق كرة الطاولة للمدرسة الابتدائية الهويية الاولى ممثل للتلاميذ على مستوى مقاطعة خنان . المدرسة الابتدائية الهويية الثانية مدرسة مثالية فى العاب القوى فى مقاطعة خنان .

قلت لهم ان المدرسة الثانوية الهويية فى بكين تمتاز ايضا بالالعاب الرياضية . ويقال ان فى معهد بكين للرياضة اعدادا غير قليلة من الطلبة الهويين . ونحن كلنا نتمنى لهم ان يقدموا مساهمات اعظم فى الميدان الرياضى .

زيارة الى اصحاب ووشو

لدى اهل قومية هوى فى كايفنغ تقاليد وعادات فى التمرين على ووشو منذ زمن طويل ، ففى ميدان ووشو نشأ كثير من المشاهير ، بينهم السيد داود ليو تشن شينغ والسيد ما كه تشين وغيرهما . السيد ليو يبلغ اليوم ٨١ سنة من عمره ، لكن فى سنة ١٩٨٢ اشترك فى مهرجان الاقليات القومية للالعاب الرياضية ، حيث قدم مهارته الرائعة فى ووشو . وقال لى : فى ذلك المهرجان وخاصة فى مباراة ووشو كان نصف عدد المشتركين او يزيد فيها من اهل قومية هوى .

والآخر السيد ما كه تشين (٦٥ سنة) ، عائلته هاوية لووشو . اولاده بمن فيهم بناته يتعلمون منه ووشو منذ صغرهم . بنته الكبرى ما تشون شى فازت بالبطولة مرتين فى مباريات ووشو الوطنية . بنته الثانية مدربة فى فريق كايفنغ

لووشو . وبنته الصغرى ما تشون تشى قد فازت بثلاثة أوسمة ذهبية ووسامين من الفضة فى المهرجان الخامس للالعاب الرياضية على مستوى المقاطعة .

يتولى السيد ما منصب نائب المدير لمستشفى قومية هوى ويعمل طبيبا فى قسم العظام . عندما سألته عن تعلمه علم طب العظام اخبرنى بان جميع المتمرنين على ووشو يعرفون شيئا من علم تجبير العظام لكى يتسنى علاجهم بانفسهم، ذلك لأنه لا مفر من الجراح والصدمات .

وانغ جينغ شيان فنانة من اهل هوى

حين كنت فى مدينة تشنغتشو سمعت بوجود عدة ممثلين هويين ممتازين فى مجال اوبرا خنان وهم : ما لين وهاى ليان تشى وهو مى لينغ الخ . لكن السيدة ما لين وهو مى لينغ ذهبا الى محافظات اخرى قبل وصولى . اما السيد هاى فلم تتسن لى زيارته . ما العمل ؟ اتفق ان السيدة وانغ جينغ شيان كانت فى كايفنغ ، وهى نائبة الرئيس لفرقة التمثيل الاولى لاوبرا خنان فى كايفنغ . . فنانة شهيرة قادرة على الغناء وأداء الحركات العسكرية . تعلمت اوبرا خنان فى مدينة شيآن قبل التحرير . وذاعت شهرتها بعد التحرير . فلذلك اظن انها تتمتع بصفة نموذجية . فلا بد ان ازورها .

ذهبت مع السيد وانغ باو لين الموظف فى لجنة الشؤون القومية فى كايفنغ الى بيتها فلم نجدها . وفى اليوم التالى ، جاءت مع زوجها لى تشن ليانغ الى الفندق الذى كنت أقيم فيه . فجرى بيننا حديث ودى وبلا تكلف . . غادرت من صغرها مدينة كايفنغ الى شيآن . ومن اجل الرزق اضطرت وهى فى التاسعة من عمرها الى تعلم الاوبرا . فى سنة ١٩٤٨ انتهت من حياة الدراسة ، وبعد ذلك قدمت دائما اوبرا خنان فى مقاطعتى شنشى وقانسو . وفى سنة ١٩٥٠ ، بعد تحرير كايفنغ ، عادت الى بلدتها التى فارقتها زمنا طويلا . وكلما قدمت الاوبرا لقيت ترحيبا وثناء عاطرا من الجمهور . وفازت بجائزة الممثلة الممتازة فى مهرجان الاوبرات والمسرحيات الذى اقامته مقاطعات خنان وهوبى وهونان وغيرها سنة ١٩٥٢ . وفيما بعد فازت بالجوائز مرات . وها قد أمضت اربعين سنة فى حياتها المسرحية ، قدمت فيها كثيرا من الاوبرات ، قديمة ومعاصرة . وقالت عن تجربتها : «كنا نحن الممثلين فى المجتمع القديم ولا سيما من ابناء قومية هوى ، يستهان بنا . اما بعد التحرير فتغيرت الحالة . . . .» نعم ، السيدة وانغ اصبحت فنانة الشعب ،

وينشرح صدرها ، رغم انها قد جاوزت الخمسين من عمرها وهي تثابر على التمرين على الكونفو كل يوم صباحا .

مرق لحم الغنم الشهي

يمتاز اهل هوى بصنع المأكولات والخدمات الاخرى كما ذكرت سابقا . تشانغ ون تشون صاحب مطعم مرق لحم الغنم احد النماذج .

اخذ فى بيع مرق لحم الغنم والخبز الصينى منذ سنة ١٩٨٠ ، لأن مرقه شهي واسعاره رخيصة ، يجذب الزبائن بشدة . والآن ذاع صيته فى كايفنغ بل انتشر خارجها . ويتردد على السن الناس : ما الذ مرق لحم الغنم الذى يصنعه تشانغ ون تشون !

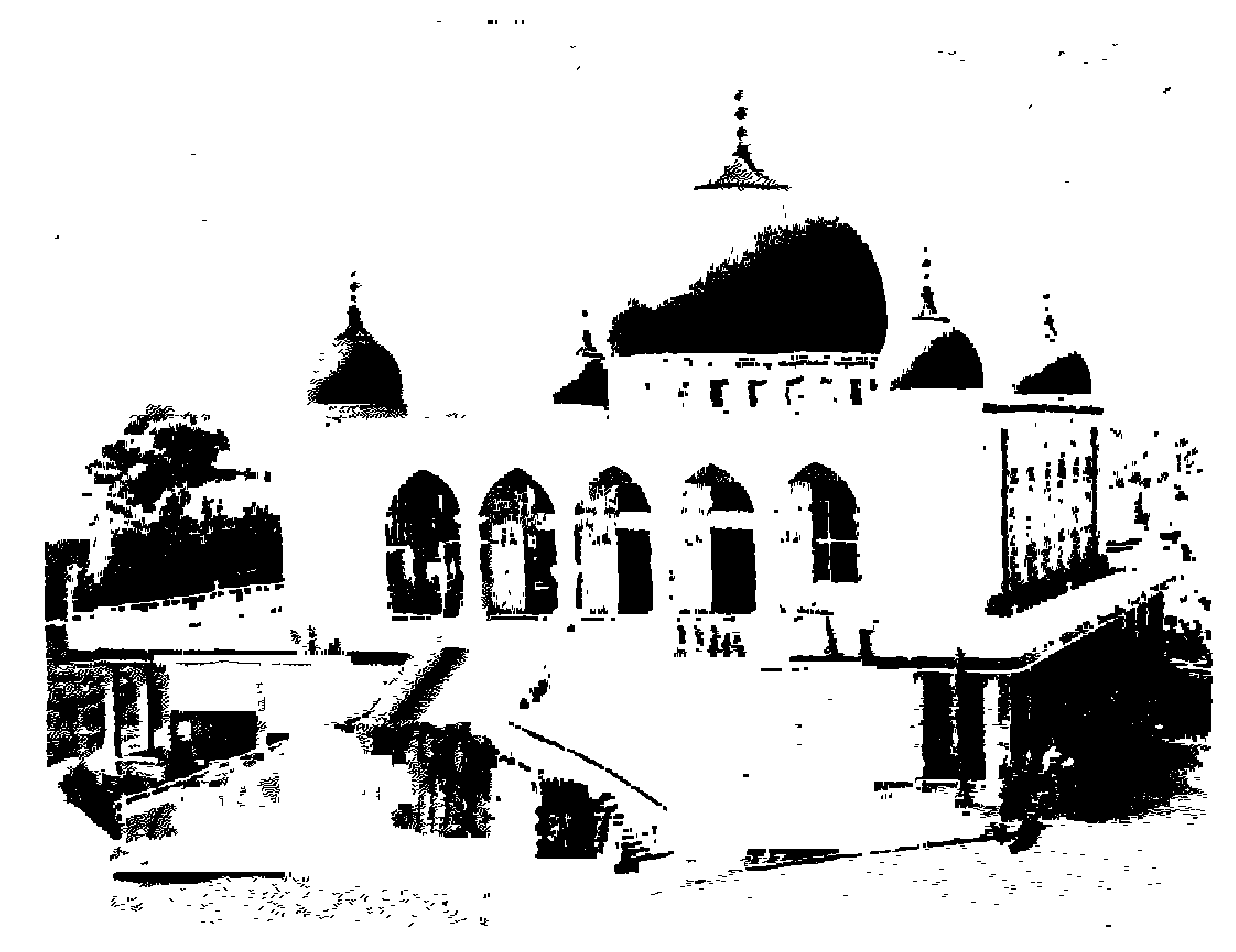
تشانغ الفقير قد اغتنى اليوم ، لكنه لا ينسى وطنه . وفى سبيل تأييد البناء الاقتصادى اشترى من تلقاء نفسه سندات مالية باكثر من ثلاثة آلاف يوان . ولا ينسى صعوبات المواطنين . . فمثلا فى سنة ١٩٨١ تعرضت مقاطعة سيتشوان للفيضان فتبرع بثلاثمئة يوان . وفى سنة ١٩٨٢ تعرضت مناطق فى خنان للكوارث الطبيعية فتبرع مرة اخرى بمئتي يوان . فوق ذلك دائما ما يفكر فى الاطفال والناشئين . . عندما انشئت روضة الاطفال الهويين فى اكتوبر سنة ١٩٨١ فى حى هوى اشترى للاطفال بعض الادوات الموسيقية واللعب .

حين زرته رأيته يغرف المرق للزبائن . . رحب بى وحيانى . . هذه عمارة ذات طابقين صينية الطراز ، ارضها خشبية ، صغيرة وقديمة ، ومن المحتمل انه كان فى عاصمة اسرة سونغ قبل الف سنة (كايفنغ العريقة) عمارات كثيرة من هذا الطراز . ويمكن ان تجد صورتها فى رسم « الذهاب الى السوق الدورية على طول النهر فى عيد الموتى » المشهور فى اسرة سونغ .

صعد السلم صاحب المطعم تشانغ واكرمنى بالشاى ، وقلت له : « مطعمك منتعش ! » فضحك ، قال : « هذا يرجع الى سياسة الحزب والحكومة . كنت عاملا مؤقتا . . وافراد عائلتى كثيرون ، وكثيرا ما نحتاج الى معونة الحكومة . اما اليوم وعلى ضوء سياسة الدولة فاصبحت من الاغنياء . والتحق احد اولادى بالجامعة . . ونحن نعيش عيشة سعيدة ، وسوف نتبرع بكل الارباح . »

وحين أتيته مرة ثانية الى تصويره سمعته يسأل الكادرة المرافقة لى عن انشاء جمعية الاطفال الخيرية فى كايفنغ . وهذا معناه واضح : انه يستعد للتبرع !

المسلمون فى منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى



الجامع الكبير فى جنوب مدينة ينتشوان

فى الصلاة





مشهد من مسرحية «منصور » لقومية هوى .. تؤدى دور البطلة آنى (الى اليسار) وهى من قومية هوى ، بفرقة الغناء والرقص بمنطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى

المسلمون فى العيد

زوجان يذهبان لزيارة الاقارب – منطقة نينغشيا

تلاوة الادعية . . ترحما على الراحل

منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم

• قومية تاتار •



الامام الحاج عبد الله فى خطبة الجمعة

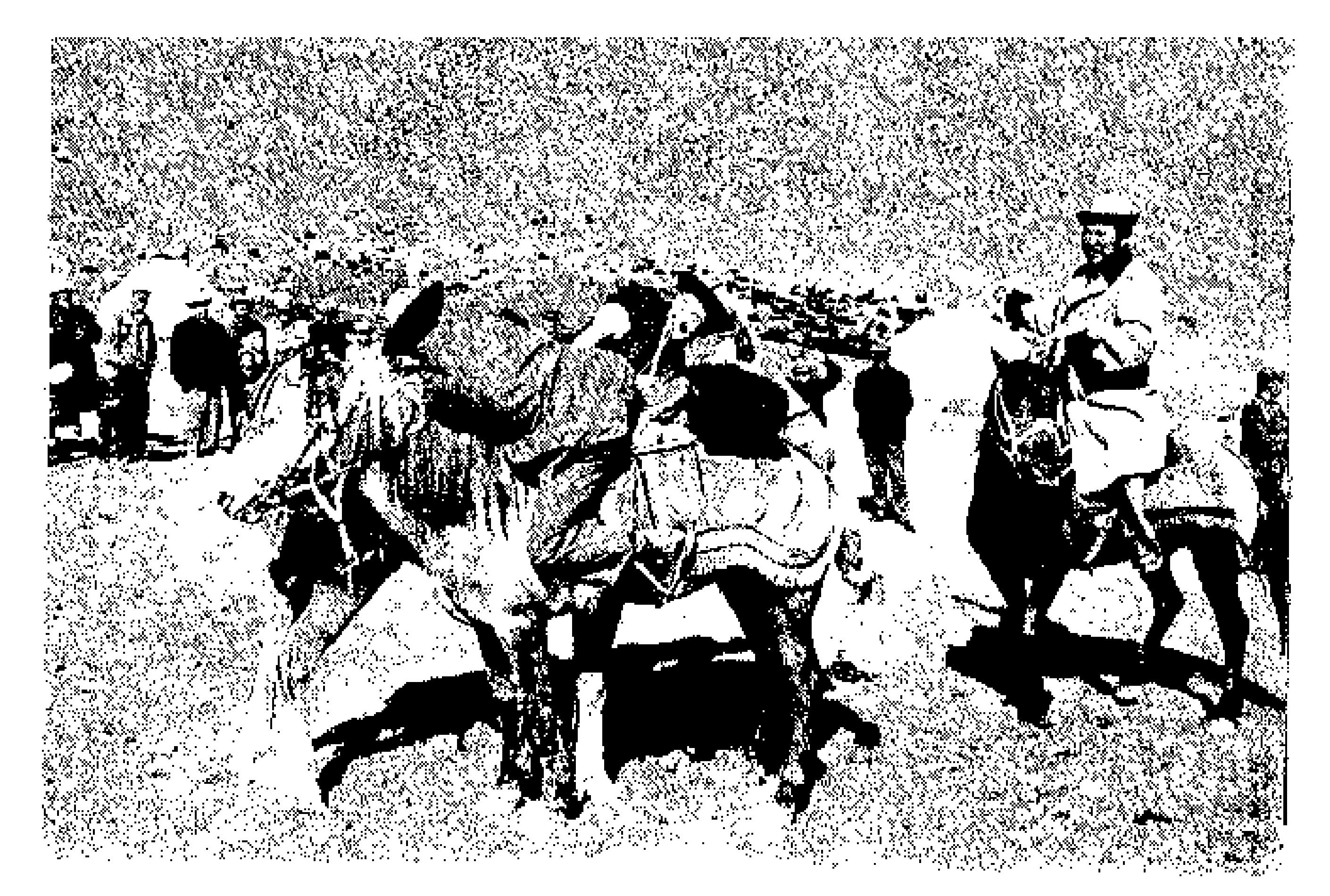
المسجد التاتارى

رمانة مع احفادها فى الدار

حفلة موسيقية فى عائلة رمانة



عائلة محمدى طورقان مع الاقارب



المصارعة على الخيل

مباراة شد الحبل



موسم المشمش



ربة بيت ويغورية تشوي «نانغ»



آبار «كارزين» الجديدة البناء

• قومية تاجيك •



الحصن القديم لقومية تاجيك

مباراة خطف الماعز

الرقص على المزمار والدف



الرعاة القازاقيون يكرمون الضيوف بلحم الضأن و الثريد



الراعية القازاقية
بيكين و هى عضوة
اللجنة الدائمة
للمجلس الوطنى
لنواب الشعب

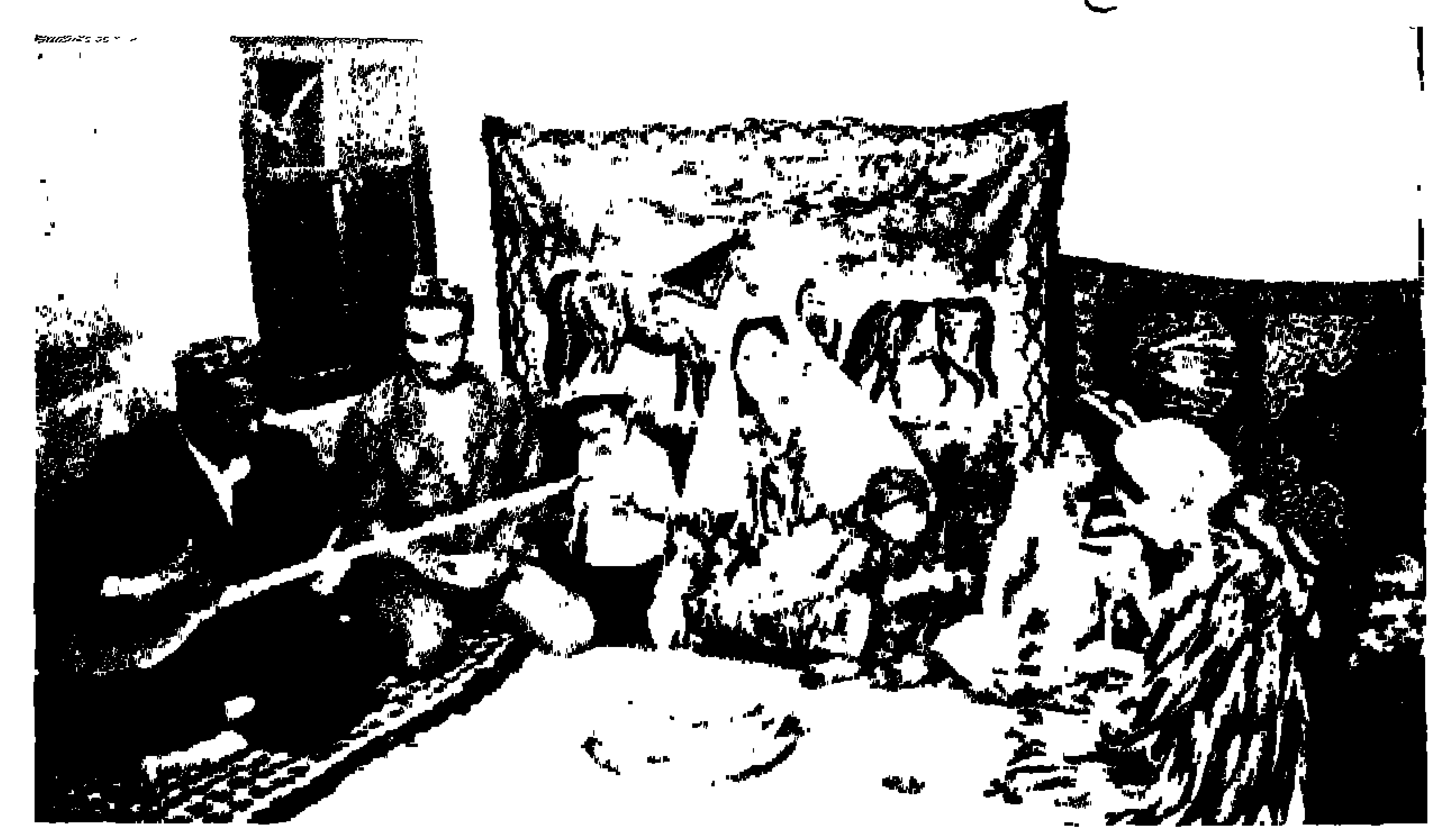
الرعاة القازاقيون ماهرون فى الغناء و الرقص

• قومية اوزبك •



نوار ابراهيم النائبة فى مجلس نواب الشعب الوطنى لقومية اوزبك مع الجماهير

نعمان جيانغ و عائلته





طبيب من قومية اوزبك

مطلب و زوجته فى الحديقة



مقاطعة تشينغهاى



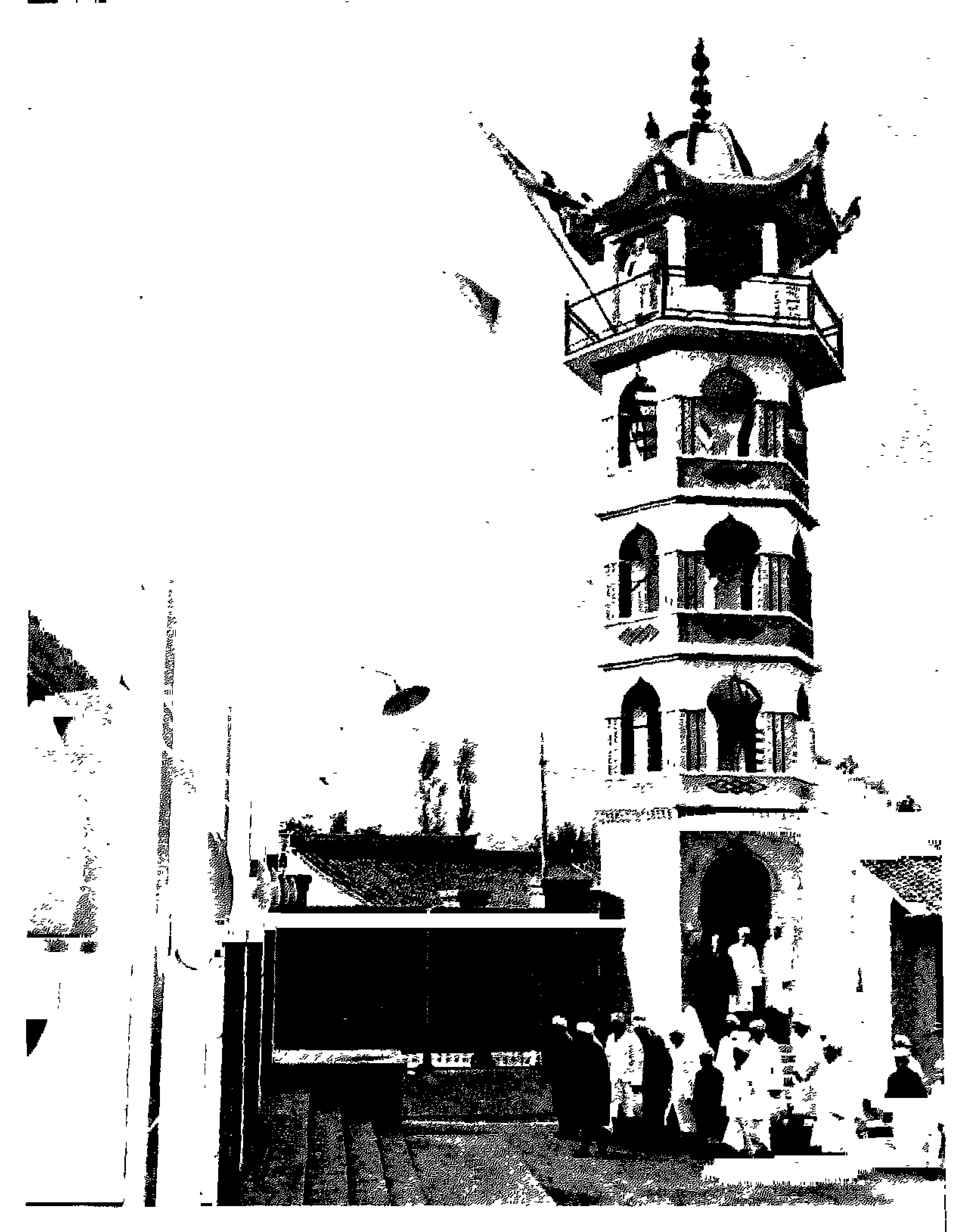
الاولاد من قومية سالا فى اللهو و المرح

الغناء و الرقص . . شباب محافظة هوالونغ الذاتية الحكم لقومية هوى



بستانى مسن من قومية سالا

صلاة عيد ألفطر فى الجامع الاكبر بمدينة شينينغ



الجامع الحديث البناء بولاية لينشيا الذاتية الحكم لقومية هوى



فى بيت المسلم ما تشون شى عضو اللجنة الدائمة للمؤتمر الاستشارى السياسى بولاية لينشيا الذاتية الحكم لقومية هوى

السكاكين الباوآنية من انتاج فيلق قانهوتان مشهورة داخليا و خارجيا



شا يون قوانغ ، من قومية هوى ، نائب مدير مصنع كونمينغ للماكينات يدرس مشكلات الانتاج مع احد العمال

روضة الاطفال رقم ١٨ لقومية هوى بكونمينغ



تلاوة القرآن

جامع شونتشنغ بمدينة كونمينغ

مقاطعة خنان

المسجد الشرق
الكبير في كايفنغ



تشانغ ون تشون
يغرف مرق اللحم
للزبائن

السيدة وانغ جينغ
شيان الممثلة بأوبرا
خنان و هى فى
الزى المسرحى



عائلة ألعاب ووشو



شانغهاى

تائب امين فرع شانغهاى للجمعية الاسلامية الصينية يشرح آيات من القرآن

هدية لبعثة جمعية الدعوة الاسلامية الليبية





مسجد « حديقة الخوخ » فى شانغهاى

مقاطعة شاندونغ



آن تشينغ شان (الى اليسار) و ون شو لينغ هما اكبر انسال الملك الشرق سـ

ضريح الملك الشرق لمملكة سولو

السفير الفيليبينى لــــدى الصين نارسيسو . ج ريس يتحدث مع ذرية سولو بعد زيارة المقبرة



هذا المسجد بنى فى سنة ١٦٢٨

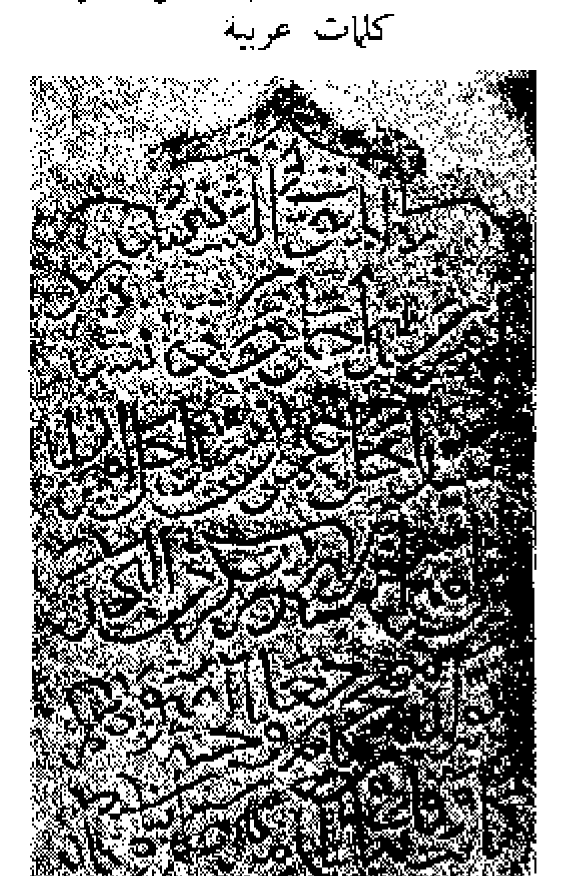
مقاطعة فوجيان

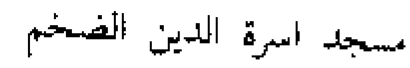


كوادر من المسلمين فى كومونة تشنلى وهم من سلالة سيد اجل شمس الدين

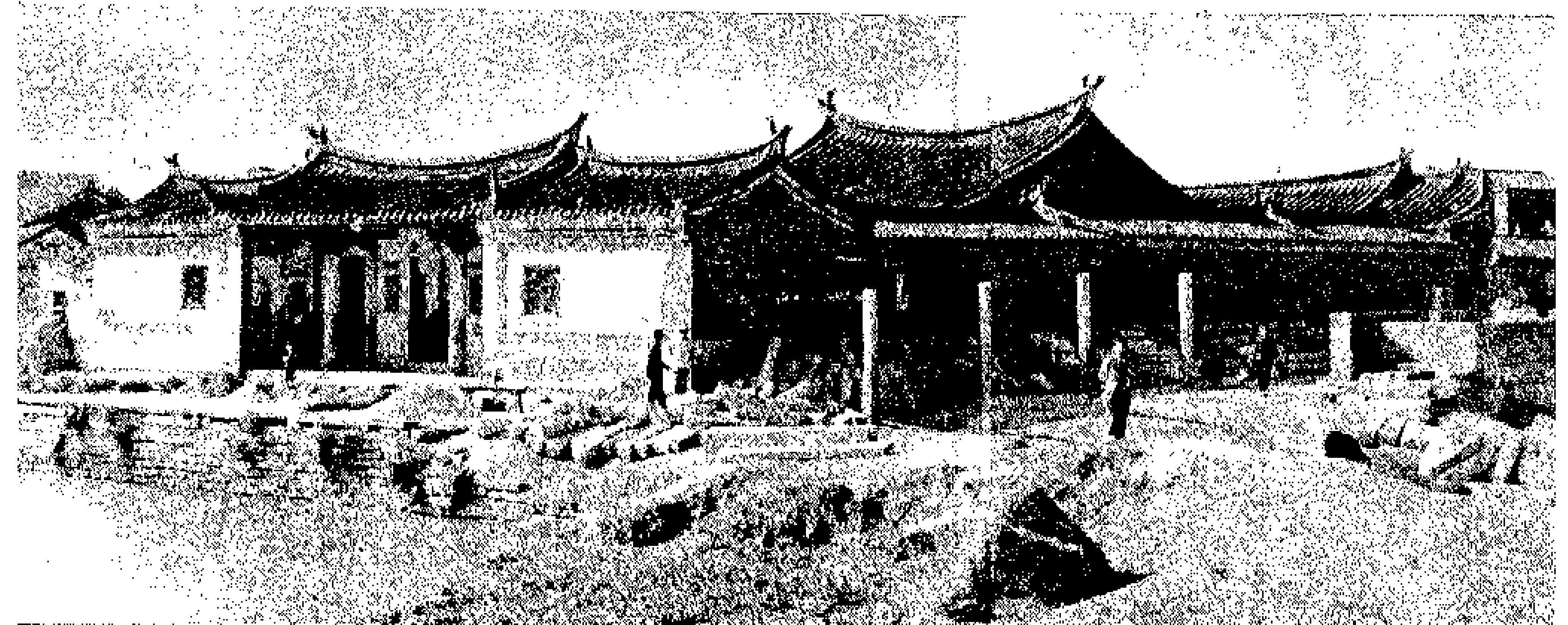
قوه لونغ تشو ، المدرس فى مدرسة وينميوا وكان اماما فى المسجد ، مع افراد اسرته

شاهدة القبر منحوت فوقها كلمات عربية





مسجد اسرة الدين الضخم





العروس تدخل دار العريس . . وحماتها ترش العناب على رأسـها حسب تقاليد قومية هوى

المودة تسود الفناء

منطقة منغوليا الداخلية



عيسى و اسرته

ذرية المسلمين



منطقة التبت



تلاوة القرآن

مسجد فى لاسا

قومية هوى الصينية

بقلم : ما يى تشون

في معظم المدن والبلدات الصينية ، تنتشر مطاعم صغيرة او كبيرة ، تبرز عليها لافتات مكتوب عليها « المطعم الاسلامى » باللغة الصينية والعربية وذلك اشارة لاقامة اهالى قومية هوى فى تلك المدينة او البلدة .

الانتشار فى انحاء البلاد

تتميز قومية هوى من بين الاقليات القومية الصينية البالغ تعدادها ٥٥ قومية بانتشارها وتجمعها . جاء فى احصاء عام ١٩٨٢ ان تعدادها ٧ر٢١٩ر٣٥٢ نسمة ينتشرون فى ثلثى انحاء البلاد ويتجمعون فى القرى الريفية او الاحياء المدنية .

تشكلت القومية قبل نحو ٨٠٠ عام ، تعتنق الاسلام منذ البداية . فبنت فى كل تجمع سكنى مسجدا ، ليس لممارسة النشاطات الدينية فحسب بل كمركز للحياة الاقتصادية والثقافية . ومن ثم تولدت العادات والمشاعر المشتركة الخاصة بها والتى لم يطرأ عليها اى تغيير رغم انتشار اهالى القومية .

بعد تأسيس الصين الجديدة انشئت ، نظرا لتجمع اهالى القومية ، ولايتان و٦ محافظات ذاتية الحكم لهم ومحافظتان احداهما لهم مع قومية يى والاخرى مع قومية مياو . وفى عام ١٩٥٨ انشئت فى نينغشيا شمال غربى الصين منطقة ذاتية الحكم لهم وعلى مستوى المقاطعة تتجاوز مساحتها ٦٦ الف كم فاصبحت مناطا لاهتمام وشوق اهالى القومية فى كل البلاد .

نينغشيا — المنطقة الغنية

تقع نينغشيا فى منطقة طويلة الشكل مثل مغزل ، جنوبها اعلى من شمالها ، ويجرى النهر الاصفر من جنوبها الغربى الى شمالها على طول ٤٠٠ كم ،

وتتشعب منه روافد متكاثفة تروى حقولا خصبة واسعة . وبسبب اختلاف الظروف الطبيعية تنقسم المنطقة الى قسمين ، الجنوبى يوصف بالجبلى والشمالى يوصف بالسهلى وحاضرة المنطقة فى قلب الشمال .

عدد سكان نينغشيا ٣ر٨ ملايين نسمة حسب احصاء عام ١٩٨٢ ، من بينهم ٢ر١ مليون من قومية هوى اى نحو ٣٢٪ فاعتبرت نينغشيا اكثر منطقة صينية سكانا من قومية هوى . كما اشتهرت الى جانب القمح والارز والبطاطس وبذور اللفت بمنتجاتها ذات الخمس الوان — الاحمر والاصفر والازرق والابيض والاسود . . الاحمر يعنى الزعرور والاصفر عرق السوس وهما من العقاقير الثمينة والازرق حجر نفيس والابيض فرو غنم جيد النوعية والاسود نوع من الطحالب لا غنى عنه فى الولائم الفاخرة . وقد احتلت هذه المنتجات مكانة هامة فى تجارة نينغشيا الخارجية . هذا فضلا عن غناها بالفحم والبترول والقوة المائية التى خلقت ظروفا صالحة لتنمية الصناعة والزراعة .

الماضى والحاضر

قبل التحرير عانت شغيلة قومية هوى مثل كل الاقليات القومية من استغلال واضطهاد الحكام من نفس القومية وقومية هان . وقد شرد كثير منهم من الديار مضطرين فاهملت الحقول الواسعة . مثلا كان فى محافظة تونغشين ٤٢٠٠٠ نسمة عام ١٩٣٨ ولكن لم يبق منهم سوى ١٨٠٠٠ قبل التحرير عام ١٩٤٩ . وفى احدى القرى التى كان فيها اكثر من ١٠٠ عائلة ٣ عائلات فقط من دون معيل .

وما ان ولدت جمهورية الصين الشعبية حتى دعت الى مساواة القوميات واحترام حرية اعتقادها كما بدأت تعمل على مساعدة الاقليات القومية فى التقدم السياسى والاقتصادى والثقافى . فشهدت السلطات المختلفة المستويات فى نينغشيا عددا معينا من نواب قومية هوى : ٤٤٪ من رئيس حكومة نينغشيا ونوابه وكل محافظى المحافظات السبع التى يتجمع فيها اهالى القومية . وقد التحق باعمال الحكومة ٦٠٠ كادر من القومية فيما بين عامى ١٩٨٠ و١٩٨١ .

ولاجل مساعدة اهالى القومية فى ازهار وتطوير الاقتصاد ، خفضت ضرائب الزراعة والرعى فى المناطق الجبلية عام ١٩٧٩ واعفيت ضرائب الزراعة ومبيعات

الحبوب خلال ١٩٨٠ – ١٩٨٥ هذا الى جانب المعونات المالية التى تخصصها الدولة سنويا لتطوير الاقتصاد والتجارة فى تجمعات القومية . ولتغيير حالة المناطق الجبلية الجافة (معظمها من تجمعات القومية) اعتمدت الدولة اكثر من مليون يوان لبناء محطة ضخ من ١٢ درجة لرفع مياه النهر الاصفر بعلو ٣٤٠ مترا وضخها بعلو ٤٠٠ متر اجمالا مما حل مشكلة سقى ٣٨٠٠٠ هكتار وتزويد ٨٠٠٠٠ نسمة و ٦٠٠٠٠ ماشية بالماء العذب .

لم يكن فى نينغشيا قبل التحرير سوى مدارس متوسطة متواضعة لا تزيد على اصابع اليد . اما الآن فقد انشئت ٥ معاهد وجامعات ، خرجت دفعات كبيرة من اكفاء القومية فى العلم والتقنية والثقافة والفن وقدمت اسبقية لطلاب القومية وسائر الاقليات القومية فى دخولها واقامت لهم بعض الجامعات دورات تمهيدية لامتحان الدخول .

وتزايدت المنشآت الثقافية والصحية سنة بعد سنة بعد التحرير فظهر فى كل محافظة مستشفى ودار سينما .

المسلمون الاتقياء

الاكثرية الساحقة من اهالى القومية فى نينغشيا مسلمون اتقياء . ففى بيوتهم سجاجيد صلاة من اللباد على الاسرة وصور للكعبة وقبر النبى محمد على الجدران . وفى نينغشيا اكثر من ٤٢٠٠ جامع يصلى فيها معظم المسلمين يوم الجمعة . ذات يوم صادفت فى محافظة تونغشين شيخا قوى البنية فائضا بالنشاط ، فى الـ ٧٩ من عمره ، اسمه تشو شنغ لو . كان عضوا فى لجنة اصلاح الاراضى لاحدى الحكومات المحلية التى اسسها الجيش الاحمر عام ١٩٣٧ فى مسيرته الكبرى . ويعيش اليوم على معونة الحكومة رئيسيا . وقد اخبرنى بعد ان وصف لى تاريخه المجيد قائلا : « لم انقطع عن الصوم فى شهر رمضان والصلوات الخمس منذ كنت فى التاسعة من عمرى . »

فى السنة الماضية انشئ فى نينغشيا المعهد الاسلامى لقبول دفعة من الائمة سنويا ورفع مستواهم الدينى . كما اقيمت جمعية دراسة قومية هوى بنينغشيا وجمعية دراسة الاسلام بنينغشيا تسهيلا للبحث فى المسائل الاكاديمية المعنية .

الموسيقى والاغانى

تبرع نساء القومية فى منطقة جبل ليوبان بنينغشيا فى العزف على المزمار (مقرون) . فتتجمع الفتيات ثلاثا او خمسا فى وقت الراحة ويعزفن تعبيرا عن مشاعرهن الرقيقة وحبهن الطاهر فيفهم الفتيان ويفرحون . .

وتتناقل فى تجمعات القومية بنينغشيا وقانسو وتشينغهاى اغان شعبية طويلة التاريخ متميزة بالمواضيع الوافرة والاساليب النشطة والكلمات المعبرة والالحان العالية ولها روح حية وصفة قومية محلية . ولا ينشدها الاهالى فى الحقول والمراعى فحسب بل يقيمون حفلة غناء تقليدية فى مايو من كل سنة قبل الحصاد الصيفى ، ينجذب اليها المغنون للمباراة والجماهير الغفيرة بعدد ٤ آلاف او عشرة آلاف شخص . ويعجب كثير من شبان القومية فى نينغشيا بهذه الاغانى فينغمسون فى الانشاد والابداع تطويرا لهذا الفن الجماهيرى المطلوب .

ما يى تشون : من قومية هوى ، عميد مدرسة الهندسة المعمارية بنينغشيا .

قومية هوى فى سهوب شمال الصين

بقلم : تشيو هوان شينغ

تعتبر قومية هوى ثانية كبرى الاقليات القوميـة الخمس والخمسين فى الصين من حيث تعداد السكان بعد قومية تشوانغ مباشرة .

فى مارس الماضى ، حملتنى السيارة من بكين الى محافظة شيانشيان بمقاطعة خبى بهدف زيارة قرية الهويين فيها .

ما تشونغ رونغ المسؤولة عن الشؤون القومية فى الحكومة بالمحافظة تنتسب الى قومية هوى وقد رافقتنى فى زيارة قرية بنتشاى ، موطنها . فى القرية ما يزيد على ٥٠٠ اسرة كلها من قومية هوى باستثناء ما يقارب ٢٠ أسرة من قومية هان .

العائلة المضيفة

كانت قرية شمالية عادية تتشكل من مجموعات المنازل الطوبية .

نزلت فى بيت ما شو مينغ اثناء الزيارة . يسكن مع افراد عائلته فى اربع غرف من الطوب . وتستعمل الغرفة الوسطى مطبخا وبجانبيها غرفتان للنوم وملحق بالمنزل غرفة خزانة بغربها . يعتبر هذا التشكيل مثالا لمنازل القرية . ويقيم كل من ابنه الاكبر المتزوج وابنه الثالث الذى سيتزوج فى العام القادم ، فى منزل مستقل من نفس الطراز . وفى السنوات الاربع الاخيرة شهدت القرية عمليات عمرانية كثيرة وقد انتقل ٧٠٪ من ابناء القرية الى المنازل الجديدة .

من مزايا قومية هوى الحفاوة والضيافة . . حيانى المضيف بمأدبة دسمة ، اللحم المشوى مع الفطر والفطائر المحشوة باللحوم . فمن عادات المسلمين اكرام الضيف وابناء السبيل وتأمين ما يتطلبه المعوزون . وانتشر بين ابناء الشعب من قومية هوى القول المأثور « الضيف على حساب المضيف » .

في المساء تجاذبت اطراف الحديث مع مضيفي ، عمره ٥٦ سنة وجسمه قوي وتبعث عيناه الحنان والذكاء . في الماضي كان ابناء الشعب من قومية هوى فقراء جدا حتى سموا « الصعاليك » كانت عائلته آنذاك من سبعة افراد يقيمون في ثلاث غرف بدائية ويعيشون على الاراضي المجدبة التي لا تنتج الا ما بين ٢٠٠ كجم من الحبوب . وكان يشارك اباه واخوته منذ طفولته في طحن الطحين وقلي الكعك لبيعها في الشوارع اذا حالفه الحظ فيمكنه تأمين القوت ليوم . وكان في السنوات الصعبة لا يربح ابدا بل يخسر بعد دفع الضرائب المتنوعة . ولم تسنح له فرصة التعلم في طفولته . والادهى من ذلك توفي شقيقاه بسبب المرض .

لقد ولى هذا التاريخ المحزن الى غير رجعة . وظهرت السعادة والسرور على قسمات وجهه . عندما تحدث عن حياة اليوم قال : قد اشترت معظم العائلات في القرية الدراجات وساعات اليد وماكنات الخياطة واجهزة الراديو ولا ينقصها الا التلفيزيون لعدم وجود المحطة ومن المؤكد ان معظم العائلات ستشتري التلفيزيون فور اقامة المحطة . واستطرد قائلا : تنتج منطقتنا الفول السوداني والبسلة الخضراء ما عدا القمح والذرة . وازداد دخل الفلاحين بفضل تطبيق السياسة الزراعية الجديدة . فلدى كل عائلة حبوب زائدة وودائع في البنك . في العام المنصرف ربحت اربعمائة يوان واكثر من بيع الفول السوداني وهذا المبلغ يكفي لشراء التلفيزيـــون . عرفت فيما بعد ان حالة المضيف متوسطة بين عائلات القرية .

العادات التقليدية

من حسن الحظ ان اقيمت حفلة زفاف بعد يومين من وصولي الى القرية مما اتاح لي فرصة ذهبية لمعرفة عادات قومية هوى . على ما يقال ان الزواج كان يقرره والدا العريس والعروس في الماضي . لكنه لا يتم الا بموافقـة العروس طبقا لتعاليم الاسلام .

كان العريس والعروس متشابهين فالعريس ما شيان تشي طويل ووسيم والعروس ما ار شيانغ حلوة الوجه وجميلة الجسم . ويقيمان في نفس القرية . . . ساق العريس مع اصدقائه عربة الحصان المفروشة بالسجاد الاحمر لاستقبال عروسه بالرغم ان المسافة بين العائلتين ليست سوى كيلومتر واحد .

لا تختلف ملابس الزفاف في قومية هوى عما هي عليه في قومية هان . كما لم يعد يغطى رأس العروس بطرحة الزفاف . لكن عندما تدخل بيت عريسها لابد ان

تغطى رأسها بقطعة من الحرير الاحمر . وحينما تدخل قاعة البيت بين الجماهير والضيوف تنثر حماتها العناب الاحمر رمزا الى البركة والفأل .

من العجيب ان تفاجئ عدة نساء والدة العريس بطلى وجهها بالحبر والسخام حتى تبدو كالبهلوان . وهذا ليس من عادات قومية هان ابدا . سألت الوالدة عن سبب ذلك فقالت مبتسمة وهي تغسل وجهها انه من العادات المتوارثة من الاسلاف . ويهدف الى زيادة الفرح والسرور .

وفيما كانت تتحدث النساء فى غبطة وسرور اقام الرجال مراسم الزواج المهيبة فى الفناء حسب تعاليم الدين الاسلامى .

« هل يلزم العريس او العروس ان يطلبا تصريحا بالزواج ؟ » سألت كادر القرية فى الخفاء . « طبعا قبل كل شئ يسجلان لدى الحكومة الشعبية ولا يقام الزفاف الا بعد الحصول على تصريح الزواج . »

فى المسجد بمدينة شيجياتشوانغ

اينما يتواجد المسلمون يبنى المسجد . فى قرية بنتشاى مسجد قيل انه بنى فى اسرة مينغ . ومن المؤسف اننى لم اصادف يوم الجمعة اثناء وجودى هناك . ولكننى عوضت ذلك فى مدينة شيجياتشوانغ حاضرة المقاطعة .

كانت ظهر يوم الجمعة . . جاء الى المسجد المسلمون واحدا تلو الاخر وعلى رؤوسهم القبعات ثم يغتسلون ويتوضأون ويخلعون احذيتهم قبل دخول المصلى ويؤدون الصلاة باتجاه مكة .

بعد انتهاء الصلاة ، استقبلنى الامام روى هونغ وهو فى العقد السادس من العمر فى غرفة الاستقبال وقال لى ان الحكومة الشعبية تنفذ سياسة حرية الاعتقاد الدينى بجدية بعد العشر سنوات المضطربة .

ولكن خلال فترة « الثورة الثقافية » عبثت عصابة الاربعة واغلقت اكثر من سبعمائة مسجد فى مقاطعة خبى . . واستخدمت بعضها فى اغراض اخرى وتعرض الائمة لحملة « النقد » ومنعت كل النشاطات الدينية .

فى محافظة دينغشيان التى تبعد عن مدينة شيجياتشوانغ بمائة كيلومتر شمالا مسجد قيل انه بنى فى اسرة تانغ . وفى المسجد نصب حجرى بمناسبة اعادة بناء المسجد فى السنة الثامنة من عهد تشيتشينغ (عام ١٣٤٨ م) لاسرة يوان . ويعتبر

اقدم نصب قائم لحد اليوم يمت بصلة الى الدين الاسلامى .

انتهزت فرصة زيارة المسجد لاتحدث مع الامام يانغ الذى يعرف تاريخ قومية هوى فى المنطقة ينتسب اصلهم الى الجزيرة العربية . فى اول الامر جاء طبيبان اقاما فى مدينة تشانغآن ولما تناهى الى سمعهما انتشار وباء ، اسرعا الى ذلك المنطقة لعلاج المرضى . اما الدفعة الثانية فكانت ٣٢ تاجرا جاءوا على طريق الحرير . وكانت قافلتهم تنقل الحرير والشاى والادوات الخزفية من الصين الى مصر . والدفعة الثالثة من التجار العرب ايضا وبلغ عددهم ١٦٠ شخصا ، وصادف مجيئهم اصدار الارادة الامبراطورية السامية بالصين يعطى لتجار البلدان الغربية حق الاستيطان فى الصين . بمقتضاها تزوج بعضهم وبدأ يعيش فى محافظة دينغشيان اليوم .

هل هذه الاقاويل صحيحة ام لا ؟ اننا نفتقر الى المعلومات الوافية . لكن تاريخ قومية هوى يرجع الى ما قبل الف سنة ونيف . . فى اسرة تانغ . وحسب ما ورد فى التاريخ كانت الصين فى ذلك العهد تتطور سريعا فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والتجارة الخارجية . وحضر عدد كبير من التجار العرب والفرس الى الصين . . منهم من جاءوا الى مدينة تشانغآن عن طريق الحرير ومنهم من جاءوا الى المدن الساحلية تشيوانتشوو هانغتشو لممارسة التجارة . وحسبما ورد فى سجلات التاريخ بلغ عدد التجار الاجانب فى مدينة تشانغآن عشرات الآلاف واستوطن بعضهم فى الصين فصاروا صينيين مع مرور الايام . ويعتبرون من اصول قومية هوى .

يمكن القول ان تكوين قومية هوى يعود الى مزيج من ابناء آسيا الوسطى والفرس والعرب وابناء قومية هان .

المسلمون فى منغوليا الداخلية

استطلاع : لاو تشنغ

فى غربى منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم بالصين ١٥٠٠ راع من قومية المنغول يعتنقون الاسلام ، بينما معظم المنغول يعتقدون دين لاما .

من اين جاء هذا الاختلاف الكبير ؟ وما سبب اعتناقهم لدين الاسلام ؟ هل ما زالوا متمسكين به ؟ كيف تجرى حياتهم ؟ . . بهذه الاسئلة ذهبت الى منغوليا الداخلية .

بايانهوت عاصمة ولاية آراشآن الشمالية مدينة جميلة على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق مستوى البحر ، بشرقها جبال خلان باتجاه الجنوب – الشمال وبشمالها صحراء اولانبوخه التى يسكن اكثرية الرعاة المسلمين فى واحاتها وحافاتها .

فى احدى الواحات

رافقنى السيد ماشباتو الذى يتكلم اللغة الهانية بطلاقة مع انه من قومية المنغول وانطلقنا من بايانهوت بسيارة حتى تراءت امامنا كثبان مترامية مغطاة بالاجمات الصحراوية وجبال جرداء فى الافق البعيد ولم نر قرية ولا انسانا الى ان وصلنا الى واحة تشينغقارتو .

فى الواحة كومونة بقيادة امين مسلم (٥٣ سنة) . وللكومونة ، حسبما عرفنى الامين ، ٣٢٩٧ كيلومترا مربعا و٢٢٦٨ نسمة ، معظمهم رعاة المعز والجمال . فى الكومونة ٩٣٧ منغوليا ، منهم ١٨١ مسلما ينقسمون بسبب عدم وجود مسجد فى عدة ديار لصلاة الجمعة ولا يتناولون الشراب ولا يعرفون التدخين ولا يتزاوجون مع غير المسلمين وعاداتهم فى دفن الموتى هى عادات المسلمين .

لكنهم لا يختلفون عن المنغول فى اللباس واللغة غير عدة كلمات مثل « السلام » بالعربية و« الجد » و« الوالد » و« الاخت » و« زوجة الاخ » بالتركية .

فى اليوم التالى ذهبنا ضيوفا الى بيت راع (٦٣ سنة) اسمه يوسف واسم زوجته مرجانه . وله ١٠ بنات ، تزوجت ٧ منهن والثالثة بقيت بعد الزواج فى البيت لتساعد الوالدين فى رعى ٤٥٠ معزا للكومونة و٣٠ معزا وجملين للعائلة . وما ان جلسنا حتى قدم يوسف لنا الحليب مع الشاى وانشغل فى الذبح والطبخ . حينئذ عادت بنته الثامنة بالقطعان وهى فى العطلة الصيفية من المدرسة الاعدادية الواقعة فى بايانهوت . عند الاكل سألت يوسف : « ألا تزال تتلو القرآن ؟ » فأجابنى : « طبعا . استطيع التلاوة عن ظهر قلب . » ثم استظهر سورة الفاتحة بشكل صائب مع لهجته المحلية . وقال بمزيج من السرور والتذمر : « اننا نحن اقل الاقليات القومية نعيش فى المروج النائية جيلا بعد جيل . فقلما نقابل ضيفا من بكين فضلا عن ان يحدثنا عن الاسلام . » ودعوناه قبل الوداع ان يزور بكين مع بنته الثامنة . ووافق فرحا .

مسلمو كوبار

يتجمع اكثرية المسلمين المنغول فى منطقة اولوبروقه التى بجانبيها جبال هاناورا والصحراء . ويسمون مسلمى كوبار لان المنطقة فيما بين الجبل والصحراء كوبار فى اللغة المنغولية .

فى تلك المنطقة كومونة ، بها ٧٤٦ منغوليا ، منهم ٣١٧ مسلما . وللكومونة ٥ فيالق فى ثلاثة منها مسلمون . مثلا ، فى احد الفيالق ١٤٢ نسمة من ٢٩ عائلة ، منهم ١١٨ مسلما من قومية المنغول و٨ مسلمين من قومية دونغشيانغ .

فى المنطقة مسجدان بارشاف الامام رديف والامام يونس ، تمت عملية ترميم احدهما وما زالت جارية فى الآخر .

صادف يوم وصولنا يوم الجمعة . وقد تجمع اكثر من ٢٠ راعيا فى بيت مسلم يدعى سليمان للصلاة بعد ان قطعوا ٢٠ — ٣٠ كيلومترا على الدواب . المسلمون المنغول من مذهب الخوفية ، فى عيد الاضحى والفطر وعيد المولد النبوى يتوافدون بكل افراد الاسر الى المسجد بالدقيق والزيت والمعز . . الرجال يذبحون المعز والنساء يعملن الدقيق خارج المسجد . . بعد الاكل يتوضأ الرجال

ويدخلون المسجد للصلاة ثم يزورون المقابر . اضافة الى ذلك يحتفلون بالاسراء والمواج فى شهر رجب .

فى الخيمة

فى طريق عودتنا من كوبار رأينا ، والسيارة تنطلق فى المروج ، خيمة بيضاء مستديرة السقف كأنها زهرة ناضرة وسط الاعشاب الخضراء والازهار الملونة . . بعد ١٠ دقائق توقفت سيارتنا امامها وبجانب بابها عربة ودلاء وعصى خشبية واشياء اخرى . دعانا صاحب الخيمة بالدخول فى حرارة . وقدمت لنا ربة البيت الحليب مع الشاى والفطائر المقلية . وما ان تعارفنا حتى تبينت انهم مسلمون . فاسم صاحب الخيمة عيسى (٤٦ سنة) واسم الزوجة فاطمة . لهما ٥ اولاد و٣ بنات ، اصغرهم فى الشهر الثامن واكبرهم فى ٢٠ سنة وهى طالبة فى السنة الثالثة بالمدرسة المتوسطة . وقد اختيرت لاعبة لتشترك فى مهرجان منغوليا الداخلية بالحاضرة . ترعى العائلة ٤٨٠ معزا للكومونة . وللعائلة ٤ جمال و٤ حمير و٨٢ معزا . ولها دار ثابتة . لكن بسبب الجفاف جاءت الى المروج بالقطعان والخيمة التى تصلى فيها يوم الجمعة لبعد المسافة عن المسجد . وفى الاعياد تذهب الى المسجد مهما كانت المسافة .

قبل الوداع طلب عيسى منى نسخة من القرآن بالعربية فوعدته بذلك .

منشأ المسلمين المنغول

كلما سألت عن منشأ المسلمين المنغول روى الرعاة المسنون أن لهم ٧ اجداد من ٥ عائلات . كان السيد ماجيانغبورا نائب السكرتير العام للجنة الولاية الاستشارية السياسية امينا للكومونة فى منطقة كوبار منذ عام ١٩٥٥ — ١٩٨٠ فعرف منشأهم بصورة تفصيلية . . فى اوائل اسرة تشينغ الملكية كانت ولاية آراشآن تابعة لقبيلة خشوته فى شينجيانغ وتشينغهاى ، وصل اليها المنغولى هولى عام ١٦٨٦ على رأس ٧٠٠٠ راع من ٤ قبائل لاجل الخضوع لاسرة تشينغ بعد ان تمرد عليها رئيس احدى القبائل المنغولية . فاصبح هولى رئيسا فى آراشآن . وأمر بتوحيد كل الرعاة فى قومية المنغول غير المسلمين منهم . فوجب ان ينتموا الى قومية هوى تاركين قومياتهم الاصلية قومية ويغور وبعض القوميات

الاسلامية وهم من ٥ عائلات لكن عددهم ظل سؤالا بلا جواب قاطع . وتناقلت الالسنة المحلية انهم ٧ اشخاص وتكاثروا حتى تجاوز اخلافهم ١٥٠٠ شخص منذ ٢٠٠ سنة . وفى عام ١٩٥٥ قررت الحكومة انهم من قومية المنغول .

وفى عام ١٧١٣ تغلب حفيد هولى بدفع من اسرة تشينغ على قبيلة ويغورية متمردة وجاء بالاسرى الويغوريين الى آراشآن فاصبحوا منشأ آخر المسلمين المنغول .

قال الامام يونس (٧٥ سنة) : « ان اجدادى جاءوا من هامى بشينجيانغ وهم ٧ اشخاص من ٥ عائلات . اسمى الاصلى يونس واسمى المنغولى باينووتشى . »

وكان بعض المسلمين المنغول فى الاصل من قومية قرغز بشينجيانغ وقومية هان بشنشى وقانسو .

المسلمون فى التبت

بقلم : سون مينغ تشن

يقيم الآن ما يزيد على ٢٠٠٠ مسلم فى منطقة التبت ذات الحكم الذاتى ، يتعايشون بوفاق مع ابناء الشعب من القومية التبتية الذين يعتقدون البوذية ، بينما يحافظون على اعتقادهم الدينى وعاداتهم التقليدية . وفى مدن لاسا وتشانغدو وريكاتسه اربعة مساجد حيث يؤدى المسلمون فرائضهم فيها يوميا .

موجز التاريخ الاسلامى فى التبت

متى بدأ ينتشر الدين الاسلامى فى التبت ؟ لم تذكر كتب التاريخ هذا الامر بوضوح . فى اسرة تانغ قبل الف سنة رحل عدد كبير من الفنيين والمهنيين والعلماء من قلب الصين الى منطقة التبت ، وقيل انه كان من بين هؤلاء اناس يعتقدون الدين الاسلامى الذى وصل الى الصين قبل وقت قليل . . ربما انهم اول جيل من المسلمين فى تاريخ التبت .

اما فى اسرة يوان (القرن الثالث عشر الميلادى) فازداد المهاجرون من قلب الصين الى التبت اكثر فاكثر مع مرور الايام ، ومنهم المسلمون ايضا . ومن الناحية الاخرى توافد المسلمون من آسيا الوسطى وآسيا الجنوبية الى التبت لممارسة التجارة والتبادلات الثقافية وبدأ يستوطن بعضهم فى التبت ومع ذلك كان عدد المسلمين فى التبت مازال قليلا جدا ولم يجدوا مسجدا خاصا لهم .

وكانت الفترة المزدهرة لازدياد المسلمين فى التبت هى بداية القرن السابع عشر اى فى بداية عهد اسرة تشينغ حيث بلغ عددهم مئات الاشخاص وفى الوقت نفسه بنوا المساجد . وفى نهاية القرن الثامن عشر ارسلت الحكومة المركزية لاسرة تشينغ المبعوثين الى التبت لاعادة تنظيم شؤون الحكم فيها واتخذوا بعض الاجراءات

الادارية الملموسة تجاه ابناء قومية هوى ومن ضمنها تعيين الاداريين وتحديد المقابر لابناء الشعب من قومية هوى . وهذا ان دل على شئ فانما يدل على ان تعداد السكان كان لابأس به .

قومية هوى

واليوم يعيش اكثر من ٢٠٠٠ من المسلمين فى التبت ويقيم ٨٠٪ منهم فى لاسا حاضرة التبت . واقام غيرهم فى مدن تشانلو وريكاتسه وناتشيوى وتسدانغ . ولم يظهر اثر المسلمين فى المناطق الزراعية والمراعي . وينتسب اصل مسلمى التبت اليوم الى ثلاثة مصادر ، ثلاثة ارباعهم من تشينغهاى وقانسو وسيتشوان وتربط معظمهم صلة القرابة بقومية الهان ويرجع اصل سدسهم الى كشمير وباكستان ونيبال والهند وغيرها من البلدان . اما البقية فهم من ابناء الشعب من القومية التبتية الذين اعتنقوا الدين الاسلامى بعد التزوج مع ابناء الشعب من قومية هوى . لكنهم ينتسبون جميعا الى قومية هوى مهما كانت اصولهم .

بنى مسجدان فى شارع باجياو الواقع فى مركز المدينة وفى حى خبالين الذى اقام فيه اربعة اخماس من مجموع ابناء الشعب من قومية هوى فى المدينة ويساوى نصف سكانها فى التبت كلها . لذا سموا المسجد فى حيهم المسجد الكبير والمسجد فى شارع باجياو المسجد الصغير .

مساحة المسجد الكبير ٢٠٠٠ متر مربع اما مساحة البناية داخله فحوالى ١٠٠ متر مربع . والمصلى بالغ البهاء والجمال ويقع بجانبه « مبنى استطلاع الهلال » وهو على شكل برج ونصب فوق سطحه هلال . وتتصف هذه البناية بصفة خاصة بين البنايات التبتية المحيطة بها . وعلى الحائط الامامى للمصلى « ادعية » وصورة المدينة الاسلامية المقدسة . وداخل المصلى عشرة اعمدة على كل منها ساعة والارضية مفروشة بالسجاد التبتى .

يتولى اربعة ائمة ادارة شؤون المسجد ويسكن الامام حبيب البالغ من عمره ٧٤ سنة فى المسجد على الدوام ، ويؤم المصلين يوميا . وتخصص ، خلال ٥٠ سنة ، فى النشاطات الدينية منذ كان شابا فى العشرين . ويتقن علوم الدين الاسلامى ويتمتع بالحب والاحترام من المسلمين فى المنطقة . وهو عضو الجمعية الاسلامية

الصينية وفى الوقت نفسه عضو اللجنة الدائمة للمؤتمر الاستشارى السياسى فى منطقة التبت ذات الحكم الذاتى .

وبناء على ما قال الامام حبيب ان المسجد الكبير بنى فى بداية عهد اسرة تشينغ وتاريخه يرجع الى ما قبل ثلاثمائة سنة . لكن المصلى وبعض الآثار النفيسة فى المسجد كانت قد تدمرت فى حريق اشعلته القوات المتمردة فى ايام التمرد بالتبت عام ١٩٥٩ ، وبعد اخماد هذا التمرد اعتمدت الدولة اموالا طائلة لاعادة بنائه طبقا لصورته الاصلية . واثناء العشر سنوات المضطربة للثورة الثقافية منعت جميع النشاطات الدينية فاستخدم المسجد لغرض آخر . وبعد اسقاط «عصابة الاربعة» عام ١٩٧٦ اعتمدت الحكومة الشعبية للمنطقة اموالا خاصة لترميمه وشراء السجاد الجديد لفرش ارضيته . وبعد ذلك فتح امام المسلمين من جديد عام ١٩٧٧ واستؤنفت النشاطات الدينية فيه تدريجيا وتقام فيه الآن خمس صلوات يوميا وصلاة جامعة فى يوم الجمعة . ويتوافد المسلمون اليه لاداء المناسك الدينية فى كل المناسبات الاسلامية . وقال : ان الحكومة تنتهج سياسة حرية الاعتقاد الدينى . ويحظى الدين الاسلامى بالاحترام والحماية فى التبت مثله فى ذلك مثل الدين البوذى . وينظر المسلمون الى ذلك بعين الرضى . نشاطات المسلمين الدينية تنظمها المساجد المختلفة . اما ترميم المساجد وشراء الاجهزة اللازمة فعلى حساب الحكومة . ونفقات النشاطات الدينية اليومية يدبرها المؤمنون بأنفسهم . ان نشاطات الانتاج والحياة للملسمين فى حى خبالين تجرى تحت ادارة لجنة سكان الحى الذى يسكن فيه ابناء الشعب من قومية التبت وقومية هوى معا لكن مدير لجنة السكان ينتسب الى قومية هوى .

حياة المسلمين فى التبت اليوم

ان المسلمين فى هضاب التبت قد تبتوا من حيث الطعام واللباس واللغة بسبب معيشتهم هناك مدة طويلة جدا . ويعتبر دقيق القمح التبتى ولحوم العجل والضأن والسمن البلدى من اطعمتهم الرئيسية . وبالنسبة الى ملابسهم فيرتدون الزى التبتى والزى من قومية الهان . وعندما يذهبون الى المساجد للاشتراك فى النشاطات الدينية يلبسون قبعة بيضاء وتغطى النساء رؤوسهن . اما اللغة السائدة بينهم فهى اللغة التبتية كما يتقن بعضهم اللغة الصينية ويلم البعض الآخر باللغة العربية

والاوردية لكنهما قليلتا الاستعمال .

يحافظ ابناء الشعب من قومية هوى على العادات التقليدية فى الطعام والزفاف والاعياد حتى فى تسمية الاولاد . فعندما تقام حفلة الزفاف يدعى الامام لادارة مراسمها وتلاوة القرآن الكريم . اما بالنسبة الى مراسم الحداد فليسوا كمثل ابناء الشعب من قومية التبت الذين يضعون الموتى فوق قمة الجبل طعاما للنسور ويسمون ذلك بـ « الحداد السماوى » . وابناء الشعب من قومية هوى يوارون الموتى فى التراب فى مقبرتين عامتين خاصتين للمسلمين وتقع احداهما على شمال المدينة لاسا والاخرى على غربها . وتبلغ مساحتها حوالى عشرة هكتارات . وعند الولادة يدعى الامام ايضا لتلاوة آيات القرآن الكريم على الوليد وتسميته بالاسم الدينى . ولايذهب المسلمون الى المعابد البوذية كما يمنعون البوذيين من دخول المساجد .

وعلى العموم ، يشتغل المسلمون بالتجارة والخدمات الاجتماعية والاعمال المؤقتة ويعمل قليل منهم فى الحقول والمراعى . وكان جميع المسلمين عاديين قبل التحرير ، ولم يكن اى منهم من اسرة أرستقراطية او بيروقراطية وعانى بعضهم من البؤس والشقاء فى الحياة وكانت منزلتهم السياسية بسيطة ومنخفضة جدا . آنذاك ، كان لا يسمح للمسلمين تولى المناصب الرسمية فى الحكومة سوى مقعد واحد فى سكرتارية اللغة الصينية . وبعد التحرير حصل ابناء الشعب من قومية هوى على مكانة المساواة مثل ابناء الشعب من قومية التبت وقومية الهان . وصار عديد منهم كوادر قياديين للدولة . واليوم يشغل مائة شخص ونيف مناصب رئيسية فى الحكومات على المستويات المختلفة . ومن ضمنها مقام نائب الامين العام للحكومة الشعبية المنطقة ومنصب رئيس المعهد العلمى للزراعة والرعى بالمنطقة ، ويعمل كثير من المسلمين موظفين فى المؤسسات الوطنية والجماعية ويدير غيرهم المطاعم والمقاصف ومشارب الشاى ودكاكين اللحوم والبقالة واعمال الخياطة وما شابه ذلك من اعمال التجارة والصناعة الفردية . ومع تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة فى التبت عام ١٩٨٠ تشهد بل تعيش المؤسسات الجماعية والتجارة والصناعة الفردية لابناء الشعب من قومية هوى تطورا سريعا ويتمتعون بالمعافاة من رسوم القروض بلا فائدة من قبل الدولة مثل ابناء الشعب من قومية التبت . لذا يرتفع دخلهم الاقتصادى بسرعة وتتحسن معيشتهم تدريجيا .

اسست مدينة لاسا مدرسة ابتدائية خاصة للاولاد المسلمين بجانب المسجد

الكبير عام ١٩٨٠ فاستطاع جميع أولاد المسلمين فى المدينة تلقى العلوم الابتدائية فيها – عدد المعلمين ١٥ وعدد التلاميذ ١٣٠ ونيف . ويتلقى التلاميذ دروسا فى اللغة العربية لمساعدتهم فى دراسة القرآن الكريم بالاضافة الى المواد الاخرى .

يتحلى المسلمون فى التبت بالتقاليد الممتازة فى التضامن والمساعدات المتبادلة . ودائما ما يساعدون المسنين . ويقيم المسلمون – رفيعو الدخل ، الولائم فى المساجد بمناسبة الاعياد الدينية الكبيرة تكريما للجميع او يقدمون بعض الاموال الى الاسر الصعبة الاقتصاد لمساعدتها على قضاء الاعياد فى فرح وسرور كبقية الأسر . واذا مات مسلم ما ساعد الجيران المسلمون اسرته فى كل ما يلزمها .

يعتبر التعايش بالوفاق مع ابناء الشعب من قومية التبت والتقيد بالعقائد الاسلامية بدقة والحفاظ على العادات التقليدية وتعزيز التضامن الداخلى والمساعدات المتبادلة عاملا رئيسيا لطول بقاء المسلمين وتوارثهم فى محيط البوذيين بالتبت .

سون مينغ تشن : مراسل فى الفرع التبتى لوكالة انباء شينخوا .

ايام مع قومية هوى

بقلم : تشنغ ده قان مراسل « بناء الصين »

في يوليو عام ١٩٨٢ حضرت ندوة عن قومية هوى والاسلام ، فى ينتشوان حاضرة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى . وبعد اختتام الاجتماع سافرت الى عدة محافظات يتجمع فيها اهل قومية هوى .

فى بيت الامام

دعانى الامام هونغ وى تسونغ الى بيته للاحتفال بعيد الفطر . فانطلقت بالسيارة الى محافظة تونغشين يوم ٢٢ يوليو ١٩٨٢ ، والمسافة تبلغ ٢٤٠ كيلو مترا ، ثلثها يجتاز الجبال والصحراء . وفى اليوم التالى واصلت الرحلة من محافظة تونغشين برفقة الامام والسيارة الجيب تطوى الطريق الجبلى الوعر حتى قطعت ٧٠ كيلو مترا فى ٣ ساعات . وعندما وصلنا الى قرية يانغجيا ، كان حوالى ٧٠٠ او ٨٠٠ من اهالى قومية هوى يهللون ويكبرون ويسبحون وتسابقوا الى الامام حين نزل من السيارة ، والائمة منهم يصافحونه . وعرفهم الامام بى وطلب منى ان القى كلمة فعبرت باللغة العربية عن التهانى الحارة بعيد الفطر المبارك ومعيشتهم السعيدة . فاهتزوا سرورا وتلوا الآيات بصوت جهورى مما عاد بى الى ذكرياتى فى اليمن فى الخمسينات حيث عملت هناك سنوات . ثم تجمع المسلمون فى البيدر والقى الامام خطبة العيد والنساء يلتففن باطفالهن حول البيدر . وبعد ذلك ذهبت الى بيت الامام الفخم الذى يضم اكثر من ١٠ غرف ، به مولد كهربائى للانارة . ولغرفة الاستقبال ٣ ابواب ، احدها يؤدى الى حديقة جميلة صغيرة ، وسطها بركة وجسر وفى الجوانب تشكيلات حجرية اصطناعية وازهار زاهية متفتحة . جاء مسلمان بالشهى من الاطباق الى الباب ليضعها امامان على المائدة . وكانت المأدبة فاخرة عامرة باكثر من ٢٠ صحنا ، من الفطائر المقلية ولحم البقر والغنم والدجاج والخضروات والبطيخ والفول السودانى والمجففات والعناب

فضلا عن الشاى الاخضر . وفى الساعة الثالثة ودعنا المضيف لنعود الى حاضرة المحافظة .

زرقاء العينين ذهبية الشعر

فى صباح يوم ٢٥ يوليو ذهبت لزيارة الامام وو باو تشن الذى عرفته فى الندوة وقطعت ٩٠ كيلومترا حتى وصلت الى قريته التى فيها ١٠٠٠ نسمة ، وكل البيوت مبنية من الطين على شكل مستطيل وفى صفوف متناسقة . يوم ذاك كانت القرية فى نشاط متدفق للحصاد الوافر الذى تحقق رغم الجفاف . . الفلاحون ينقلون القمح على ظهور الحمير . . . والدخن لم ينضج بعد . وفى حافة القرية قصب كثيف تداعبه الرياح . . . الظروف الطبيعية احسن بكثير مما فى القرى الجبلية مثل قرية يانغجيا .

استقبلنى الامام وو بحرارة وحفاوة . وقدم لنا الطعام فى غرفته — غرفة فى جامع القرية . وبعد الظهر رافقنى فى زيارة معالم القرية . وعندما وصلنا الى احد المساجد التف حولنا حشد من الصغار ، فوجئت ببنت بينهم ، زرقاء العينين ذهبية الشعر . فأقبلت عليها اشد على يدها واسأل عن اسرتها . ابوها فلاح عادى واسمها ما تشياو هوا (٦ سنوات) ولها اسم عربى ايضا « حليمة » . وجاءت امها واخبرتنى ان لها ٤ بنات و٣ اولاد . وحليمة هى السادسة والوحيدة بينهم بهذا الشكل الغريب . وسألت عما اذا كان هذا قد ظهر فى اجدادها . فهزت رأسها نافية ذلك . وفى طريق عودتى صادفت عجوزا يسوق قطيعا من الغنم وهو ينشد فى صوت مجلجل اغانى محلية . وعندما اقتربت منه وجدته ازرق العينين اشقر البشرة . وقال الامام : « هنا كثير من اهالى قومية هوى مثله . »

جاء فى « تاريخ اسرة تانغ الجديد » ان « الجيش العربى دخل نينغشيا فى سبتمبر عام ٧٥٧ ليساعد الصين فى تهدئة الاضطرابات . . » ومن هنا يمكن تقدير ان بعض الجنود العرب ربما بقوا واستقروا فى نينغشيا . وفى اوائل القرن الثالث عشر فتح جنكيزخان البلدان فى وسط آسيا ونقل جماعات كبيرة من المسلمين العسكريين والفنيين والمدنيين الى الشرق . . لذا دخل الصين كثير من أهل الشام . فليس من الغريب ان بعض اهالى قومية هوى فى نينغشيا بدوا بخصائص الاصل العربى والتركى . . البنية ضخمة والبشرة شقراء والعينان زرقاوان والشعر ذهبي والانف عال واللحي كثيفة . .

وقضيت تلك الليلة فى بيت الامام وو .

سور تشين قبل اكثر من ٢٠٠٠ سنة

فى يوم ٢٦ وقبل ان اودع الامام وو لأذهب الى محافظة قويوان ، رافقنى الى سور تشين القريب من تلك المحافظة . ولم ننطلق بالسيارة سوى ٣٥ كيلو مترا حتى بدا من بعيد سور ترابى ، ينزل من الجبل الغربى متلويا ليجتاز الوادى ويصعد الى الجبل الشرقى . وطلبت من السائق ان يوقف السيارة لحظة . فأخبرنى السائق ان السور بناه والد جد الامبراطور تشين شى هوانغ (٢٥٩ — ٢١١ ق . م) اى مر عليه الآن اكثر من ٢٠٠٠ سنة . ولأجل توحيد الصين حشد الامبراطور تشين شى هوانغ عددا كبيرا من الناس فربطوا سور تشين بسور دويلتى تشاو ويان على الجبال الشواهق حتى تشكل سور الصين العظيم المشهور الذى قد تداعى معظمه ، ولم يبق أثر من أبراجه العالية . ولكن ما زال أساسه والخنادق خارجه موجودة . وبعض قطعه يصمد بعلو طابقين . وفى بعض الاماكن اصبح تلا من التراب . . صعدت السور القديم لامد نظرى بعيدا حيث تحلق عدة نسور فى السماء الصافية وتلوح الجبال المتموجة فى الافق البعيد والاغنام البيضاء تسرح فى المروج . . فى هذه المنطقة الجميلة المناظر يعيش كثير من اهالى قومية هوى .

بلدة قديمة

حاضرة محافظة قويوان تقع فى بلدة قديمة يعود تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة . كانت منذ القدم هدفا للصراع العسكرى . اما اليوم فقد اصبح معظم سكانها من اهالى قومية هوى . ولما دخلت البلدة وجدت كثيرا من الكلمات العربية والفارسية متداولة على الالسنة المحلية . كان السائق شابا من قومية هان . وعندما رأى فى الطريق حصانا هزيلا يجر عربة ثقيلة ، تنهد قائلا : « وبال . » فسألته ما معنى ذلك . فأجاب انه يقصد ان الحصان مسكين . ذلك لان كلمة « وبال » مشتركة لدى كل من قومية هان وقومية هوى التى تستعمل فوق ذلك « السلام عليكم » و« عيد » و« اعمال » و« حرام » و« توفيق » و« نصيب » و« حيوان » و« بركات » فضلا عن الكلمات الدينية .

ينقسم المسلمون فى البلدة الى ٥ فرق ، فرقة القديم والجهرية والقادرية والخفية والاخوان ولكل منها مسجد خاص .

وفى يوم ٢٧ زرت برفقة السيد ما جيون لو من لجنة شؤون الاديان التابعة للمحافظة مسجدا من مساجد البلدة اعيد بناؤه عام ١٩٨١ بتبرعات المسلمين المحليين وحسب تصميمهم . وعلى جدار غرفة الامام باللغة العربية « القبر باب وكل الناس داخله ، الموت كأس وكل الناس شاربه » . فسألته عن السبب . فأجاب انه لا يدرى . واخبرنى السيد ما ان معظم اهالى قومية هوى يعلقونه على الجدران عادة . .

وفى المسجد فتية صغار يدرسون اللغة العربية . واسلوب التعليم قديم كما فى الكتاتيب .

نائبة رئيس المحافظة

تبعد محافظة شيجى (٣٠١٦٧١ نسمة) عن محافظة قويوان ٦٢ كيلو مترا وتقع فى سفح جبل ليوبان الغربى بارتفاع ٢٧٠٠ متر فوق مستوى البحر . وهى ايضا محافظة لاهالى قومية هوى .

فى يوم ٢٨ ذهبت لزيارة نائبة رئيس تلك المحافظة تشانغ شيو ليان (٣٦ سنة) .

تشانغ من قومية هوى لها اسم عربى « صافية » . انحدرت من اسرة فلاح وتخرجت من مدرسة شيجى المتوسطة عام ١٩٦٤ وبدأت تعمل فى هيئة المحافظة وتولت منصب نائب رئيس المحافظة عام ١٩٧٣ – مسؤولة عن التعليم والصحة . وزوجها يعمل فى اللجنة الاقتصادية بالمحافظة . ولها ٤ اولاد ، الولد البكر جمعة والبنت الكبرى فاطمة فى المدرسة الابتدائية والصغيران همت وموسى فى البيت . وكانت تستعد للسفر الى بكين فى سبتمبر فى دورة الكوادر بمعهد القوميات المركزى.

وفى السنوات الاخيرة طبقت حكومة نينغشيا اجراء جديدا فى مجال التعليم ، يقضى بأن يقدم لكل من التلاميذ الممتازين من قومية هوى فى المدرسة المتوسطة والمدرسة الابتدائية ١٥ يوانا و١٢ يوانا شهريا كعلاوة باستثناء الاعفاء من الرسوم الدراسية . وقد نفذت تشانغ هذا الاجراء بنجاح فارتفعت نسبة التحاق تلاميذ قومية هوى بالمدرسة المتوسطة ارتفاعا ملحوظا . فى عام ١٩٨٢ مثلا ، دخل المدرسة المتوسطة ٤٧٨ من بين ٤٩٧ خريجا فى مدرسة المحافظة الابتدائية اى بنسبة ٩٦٪ . والآن يتمتع ١١٧٣ تلميذا من قومية هوى فى كل المحافظة بالمعونة الحكومية ومنهم ١٩١ تلميذة .

المسلمون فى منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى

بقلم : يوى تشن قوى

تقع منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى فى وسط شمال الصين الغربى ومساحتها ٦٦ الف كلم مربع . تنحدر تضاريسها من الجنوب الى الشمال ومعدل العلو ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر . يخترق النهر الاصفر شمالها من الغرب الى الشرق وعلى شاطئيه ينبسط سهل ينتشوان الذى شهد اول ما شهد الزراعة والرى فى اسرتى تشين وهان قبل اكثر من الفى سنة . فسمى « جنوب الصين فى شمال الصين الغربى » . ويشمخ جبل خلان الذى علوه ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر على بعد ٤٠ كلم غرب النهر الاصفر كستار طبيعى للسهل . وتجثم فى وسط المنطقة هضبة التراب الاصفر ، سمك التراب الاصفر ١٠٠ متر تقريبا . . يناسب تطوير الثروة الحيوانية وانتاج عرق السوس ومختلف العقاقير وجنوبها منطقة جبلية . . تمتد جبال ليوبان فيها وتشتهر بانتاج السمسم المنغولى .

تعداد سكان المنطقة ٣٫٨٩ مليون نسمة . منهم ١٫٢٠٥ مليون نسمة من المسلمين من قومية هوى يشكلون ٣١٫٤٪ من تعداد سكان المنطقة الاجمالى وينتشرون فى منطقة جبال ليوبان ومدينة ينتشوان وتونغشين ولينغوو ووتشونغ وغيرها من المدن والمحافظات .

دخول المسلمين الى المنطقة

ترك التجار والمجاهدون المسلمون من مختلف البلدان فى وسط آسيا اول ما تركوا بصماتهم فى المنطقة فى اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) وفى عهد شيشيا اسرة سونغ الشمالية (٩٦٠ — ١١٢٧) كان دائما ما يمر الضيوف المسلمون

بيومن وجيوتشيوان والمناطق الخاضعة لحكم شيشيا ويصلون الى تشانغآن وكايفنغ .

وعندما جاءت اسرة يوان دخل المسلمون المنطقة باعداد ضخمة . ونظم جنكيزخان ، بعد ان فتح آسيا الوسطى وآسيا الغربية ، جيشا من مسلمي مختلف القوميات ليرابط فى الصين . وحسب ما سجل فى « تاريخ اسرة يوان » ان جيش المسلمين دخل شيشيا فى عام ١٢٧١ . وبعد سنتين من ذلك امر الامبراطور قوبلاى خان ان يبقى هذا الجيش فى المنطقة ويعيش مع الاهالى المحليين . وكانت المنطقة تابعة لحكومة شنشى . وفى عام ١٢٨٨ عين البلاط الامبراطورى عثمان الدين من قومية هوى مسئولا عن مرابطة الجيش والزراعة فى قانسو وشنشى . . دخل الصين بعض الارستقراطيين والمسئولين الكبار والتجار الاغنياء المسلمين مع الجيش المنغولى . وكان ناصر الدين بن شمس الدين رجل الدولة المسلم المشهور فى اسرة يوان مسئولا كبيرة فى مقاطعة شنشى . وانقسم ابناؤه واحفاده الى اربع عائلات كبيرة : عائلة نا ، عائلة سو ، عائلة لا ، عائلة دين . . انتشرت فى ربوع البلاد . وعدد الذين اسم عائلاتهم نا كثير فى المنطقة اليوم . سمى المسلمون هوى هوى فى الكتب الصينية القديمة . وكان هوى هوى منتشرين فى انحاء كثيرة ، وشنشى وقانسو ونينغشيا اكثرها عددا . وعين ديوان هوى هوى فى مقاطعة شنشى مسئولا عن شؤون المسلمين .

التطور

شكل المسلمون فى لينغتشو وقويوان وغيرهما من الولايات والمحافظات مناطق معيشية كثيرة فى اسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤) وازداد عددهم ازديادا كبيرا فى اواسط اسرة تشينغ . لذلك كتب بى يوان رئيس شنشى فى تقريره الى البلاط الامبراطورى ان قرى هوى هوى منتشرة بين مسافة ١٠٠٠ لى من نينغشيا وبينغلانغ . وقيل ان بين كل عشرة اشخاص ٧ من هوى هوى و٣ من قومية هان فى منطقة قانسو ونينغشيا وتشينغهاى . وبلغ عدد المسلمين فى المنطقة ٣٧٠ الف نسمة فى اوائل التحرير . شكل ربع سكان المنطقة . واول ما وجد من السجلات عن الجوامع القديمة فى المنطقة هو « تاريخ نينغشيا فى عهد جياجينغ » (١٥٢٢ — ١٥٦٦) فيه موقع جامع مدينة ينتشوان . اما الجامع الكبير فى محافظة تونغشين فقيل انه اسس فى اوائل اسرة مينغ ، ولا يزال النصب الحجرى الذى نحت عند ترميم هذا الجامع فى عام ١٧٩١ .

التقاليد والعادات

يتميز المسلمون فى المنطقة بالتقاليد الخاصة اضافة الى تأدية الدروس الدينية . . يهتمون بالنظافة حيث كتب فان تشانغ جيانغ الصحفى الشهير قبل ٤٠ سنة : « بيوت المسلمين وحقولهم منظمة ومرتبة ويبذلون جهودا جبارة فى الرى واستئصال الاعشاب من الحقول وحياتهم زاخرة حيوية ونشاطا . » ويمكننا ان نجد الاناء معلقا على عارضة وراء باب كل بيت وخندقا ضيقا تحته ، وبجانب الخندق ابريق . . وهم يستعملون الابريق فى غسل الوجه واليد بدلا من الطست . وفوق كل بئر غطاء ، والدلو الصغير معلق على الجدار مغطى بالقماش الابيض ، والدلو الكبير يوضع مقلوبا ، حتى المغارف والملاعق فى الدولاب توضع معكوسة ايضا .

يحب المسلمون فى المنطقة ان يجملوا بيوتهم بالصور والكتابة العربية ويصنعون الاطعمة المقلية فى الاعياد . ويكرمون الضيوف بانواع مختلفة من الشاى . والاجود منها الشاى فيه الفول السودانى والتين الصينى المجفف والعنب ولب الجوز .

يلبس رجالهم قبعة بيضاء وثوبا ابيض وسترة سوداء ويلبس بعضهم جوارب قماشية بيضاء طويلة وتلبس النساء الثياب المفتوحة من الجانب . وفى المنطقة الجبلية يسلمون على بعض باللغة العربية : « السلام عليكم » .

التغير فى المعيشة

عانى المسلمون فى المنطقة من التعصب والاضطهاد القوميين قبل التحرير . اذ كانت منزلتهم السياسية وضيعة واقتصادهم وثقافتهم متخلفين ، بل راكدين . فسكن معظمهم عند سفوح الجبال واطراف الصحراء وغيرها من الارض المجدبة . والذين فى البلديات طردوا الى ضواحيها يذوقون مرارة تعصب الحكومة ضدهم .

غير ان ابناء نينغشيا المسلمين اباة يتحلون بالتقاليد المجيدة فى مقاومة الاضطهاد . كانت جينجيباو فى نينغشيا احدى القواعد المقاومة لحكومة تشينغ حينما نهض المسلمون فى شمال الصين الغربى على ضوء تأثير ثورة « المملكة السماوية » فى اواسط القرن التاسع عشر . وفى ثورة ١٩١١ ساهم ما سى هو

وغيره من المسلمين فى النضال فى سبيل تحرير نينغشيا . . تحررت مدينة ينتشوان العريقة فى يوم ٢٣ سبتمبر عام ١٩٤٩ وتأسست منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى فى اكتوبر ١٩٥٨ . فبدأت المنطقة تشهد تطورا ملحوظا فى السياسة والاقتصاد والثقافة .

كان المسلمون فى نينغشيا يعيشون على الزراعة . والقلة القليلة منهم تمارس التجارة والاعمال اليدوية فيعيشون فى ضنك وشقاء . بعد التحرير ، تحسنت معيشة ابناء قومية هوى . . تشتغل جماعات كبيرة من الكوادر والمثقفين المسلمين فى الدوائر الحكومية والمؤسسات الصناعية ووحدات التعليم والصحة والعلوم والثقافة . وطبقت فى السنوات الاخيرة سياسات جديدة فى قرى المسلمين الامر الذى اظهر مبادرة الفلاحين وشهدت الزراعة محصولات وافرة .

ونفس الحالة عند قضية الثقافة والتعليم . كانت فى المنطقة ١٢ مدرسة متوسطة . اما اليوم فقد تأسست ٤ جامعات وستفتح جامعة القوميات العامة . فى جامعة نينغشيا اكثر من ٣٠٠ مسلم . ومن اجل دفع الابحاث الاكاديمية للحضارة الاسلامية اسست الحكومة مكتب البحوث الدينية والقومية فى اكاديمية العلوم الاجتماعية بنينغشيا ، وعقدت الندوة الاسلامية الاكاديمية فى المقاطعات الخمس بشمال الصين الغربى فى مدينة ينتشوان .

تأسست الجمعية الاسلامية بنينغشيا عام ١٩٥٩ . ومقرها داخل الجامع الكبير فى مركز مدينة ينتشوان . وقد قدمت منذ سنتين مساهمات كبيرة فى مساعدة الحكومة على تطبيق السياسة الدينية والاتحاد مع المسلمين وتعليمهم لتطوير التقاليد الاسلامية المجيدة وتنظيمهم فى الاشتراك فى البناء الاقتصادى .

بنى ١١٩٨ مسجدا فى المنطقة حتى نهاية عام ١٩٨٢ . فى ينتشوان عاصمة المنطقة ٧٤ مسجدا . وابرزها جامع نانقوان الكبير الحديث البناء ، يتحلى بالاسلوب العربى الاصيل . وكان عدد المصلين فى عيد الاضحى عام ١٩٨٢ اكثر من الف نسمة .

يوى تشن قوى : عامل فى اكاديمية العلوم الاجتماعية بنينغشيا .

المسلمون فى مقاطعة يونان

بقلم : فائق ما مراسل مجلتنا

يتمركز المسلمون بكثرة فى شينجيانغ ونينغشيا ومقاطعتى قانسو وتشينغهاى من بين كافة المقاطعات الصينية والمناطق الذاتية الحكم . وهذه المناطق تقع فى شمال غربى الصين . اما مقاطعة يوننان الواقعة فى حدود جنوب غربى الصين ففيها ٤٠٠ الف من المسلمين ، اكثر من ٤٠٠ مسجد . ويمكن القول بأنها اكثر مقاطعة من حيث تعداد المسلمين ، فى جنوب نهر اليانغتسى . ومعظم المسلمين هناك هم من ابناء قومية هوى ، ومنتشرون فى انحاء يوننان . وفى صيف سنة ١٩٨٢ أتيت خصيصا الى هذه المقاطعة لزيارة بعض الاماكن التى يتمركز فيها المسلمون .

فى مدينة كونمينغ ، حاضرة يوننان . دخلت ذات يوم مع زملائى فى دكان ، فرأينا بائعا شابا يطالع كتابا منتهزا فرصة فراغ العمل . وفى يده دفتر غير عادى ، وجدنا خطا عليه ، ليس بالحروف اللاتينية والصينية ، فدنونا منه بفضول . آه . . اللغة العربية . فسرعان ما تحدثنا معه ، فعرفنا انه شاب من قومية هوى ، وبدأ يدرس القرآن الكريم لكى يلتحق بالمعهد الاسلامى فى بكين .

واخبرنى السيد ما بينغ آن الموظف فى لجنة الشؤون القومية فى مقاطعة يوننان بأن فى مدينة كونمينغ ٣٠ الفا من المسلمين . بينهم عمال وبائعون ومدرسون وكثير من الكوادر الذين يعملون فى دوائر الحكومة . وفى ولاية تشاوتونغ مائة الف من ابناء قومية هوى . ومعظمهم يتمركز فى محافظتى تشاوتونغ ولوديان . ويقال ان سلفهم قدم من مقاطعة خبى الواقعة فى شمالى الصين . فلهجتهم ما زالت تختلف عن اللهجة اليوننانية ، بل تتصف بالنطق الشمالى . وسمعت الرفيق ما بينغ آن يتكلم وسهل على ان افهم جيدا ، فسألته عن بلدته ، فقال لى بأنه من

اهل تشاوتونغ ومن ابناء قومية هوى .

وفى ولاية تشيويجينغ اكثر من مائة الف نسمة من قومية هوى ، وهم متمركزون فى محافظة تشيونديان . ولغتهم مثل قومية هان عدا كلمات قليلة ، وازياؤهم كذلك . وهم يمارسون الزراعة بصورة رئيسية .

وفى ولاية دالى الذاتية الحكم لقومية باى ٥٠٠ الفا واكثر . ويسكن اكثريتهم فى محافظة ويشان . والباقون فى محافظتى دالى وريوان . وانطلقت من كونمينغ بالسيارة الى الغرب ، والسيارة تطوى الدرب الجبلى طول النهار . وحينما وصلنا الى حاضرة الولاية ، شياقوان ، نزل ستار الليل . وفى اليوم التالى انطلقت من شياقوان الى ويشان ، وانعطفت بنا السيارة الى المنطقة الجبلية العالية واجتازت جبلا تلو جبل ، واخيرا وصلت الى واد واسع مثل ياقوت اخضر ، تضمه الجبال الى حضنها . ها هنا كومونة يونغجيان وفيها ١٨ قرية يستقر فيها ابناء قومية هوى . وفى كل قرية مسجد على شكل العمران الصينى التقليدى ، واعلى البيوت الفلاحية .

وقبل وصولى هنا ، سمعت المسلمين يسمون امام المسجد « اوسونغ » ، وسمعت ايضا ان فى قرية شياويقنغ « اوسونغ » الشهير ما يون تسونغ وهو الامام المشهور فى المنطقة المحيطة بها ، ويعرف العربية والفارسية . فلذلك ذهبت مع رفيق يعرف الفارسية الى القرية .

ان المسلمين الصينيين يسمون على العموم الامام « آخوند » ، وهى كلمة فارسية . اما « اوسونغ » فمن اية لغة ؟ عندما لقينا الشيخ ما يون تسونغ اخبرنا بان هذا اللفظ من اصل عربى ، يعنى « الاستاذ » .

عدد السكان من قومية هوى فى محافظتى دالى وريوان غير كثير ، ولغتهم وازياؤهم تأثرت تأثرا كبيرا من قومية باى ، حتى انهم يتكلمون لغة باى ويلبسون ازياءها ، خاصة النساء من قومية هوى ، ذلك لأن سكان قومية باى كثيرون وابناء قومية هوى قليلون ، فلذا يسميهم البعض « هوى من قومية باى » . وهناك قرية شيبانغ ، فيها ١٥٠٠ نسمة من قومية هوى . وهم يتكلمون لغة باى ، وما يلبسونه مثل قومية باى . ويعاملون ابناء قومية باى وقومية هان معاملة ودية كافراد عائلة واحدة . وكلما جاء عيد الفطر يقدم الكثير من قوميتى باى وهان الى المسجد لتهنئة المسلمين بالعيد ، وفى المساء يدعو المسلمون الاصدقاء من اهل

باى وهان الى بيوتهم ضيوفا كراما . ويمارس القرويون بالاضافة الى الزراعة الاعمال الجانبية مثل تربية البقر والخيل ودود القز . ويثرون وتتحسن احوالهم اعتمادا على العمل الشريف .

وفى ولاية هونغخه الذاتية الحكم لقومية هانى اكثر من ٤٠ الفا من ابناء قومية هوى . وجدير بالذكر ان هناك قرية كبيرة تسمى قرية شاديان يعيش فيها اهل قومية هوى جيلا بعد جيل . ومنذ زمن طويل كانت عندى رغبة فى زيارة هذه القرية ، وقد تحققت رغبتى هذه المرة .

وصلت بالسيارة العامة الى بلدة شارع الدجاج . وبعدما نزلت منها سرت على قدمى الى قرية شاديان . فعرفت ما يزرعه الشاديانيون : على جانبى الدرب ينمو قصب السكر وقليل من الرز والخضار . كنا فى اغسطس ، والرز تتفتح ازهاره وتتصاعد رائحته الذكية . وبعد وصولى الى القرية ، التقيت السيد ما شاو مى الامين فى كومونة شاديان الذى استقبلنى بحفاوة شديدة ، واخبرنى بان الاحصاء السكاني للمرة الثالثة قد انتهى قبل ايام . وفى القرية ١٨٦٠ عائلة . يبلغ تعدادها ٨١٩١ نسمة .

وفى عصر عصابة الاربعة عانى اهل شاديان من الأسى . واليوم يسيرون على الطريق السعيد المزدهر من جديد ، ولنأخذ قصب السكر فقط مثالا : فكل عائلة تكسب سنويا الف يوان تقريبا علاوة على دخل الاعمال الجانبية .

فى قرية شاديان سبعة مساجد جديدة البناء ومدرسة اعدادية ، وقد بنيت دار السينما الجديدة ، فوق ذلك توجد اربع فرق خاصة تعرض الافلام . وتهتم الكومونة بالحياة الثقافية لجماهير شاديان . وتبنى الآن عمارة من ثلاثة طوابق كمركز للثقافة ، وبناؤها قد بدأ رسميا فى يوم وصولى اليها .

وفى ولاية ديتشينغ الذاتية الحكم لقومية التبت محافظة تشونغديان ، الف نسمة من قومية هوى ، لغتهم وازياؤهم متشابهة مع التبت بسبب التصاهر مع قومية التبت ويسمى التبتيون والهانيون المحليون الامام « لاما الملابس الخضراء ».

وفى ولاية شيشوانغبانانا الذاتية الحكم لقومية داى محافظة مونغهاى ، يوجد ايضا المسلمون ، وهم يتكلمون لغة داى ويلبسون ما يلبسه اهل داى ، فلذا يقول بعض الناس بأنهم « هوى من قومية داى» . وفى الحقيقة ، يقال انهم اخلاف جماعة من المجاهدين من قومية هوى . كيف كان ذلك ؟ فى اسرة

تشينغ الملكية نهض ابناء قومية هوى وقومية باى (فى سنة ١٨٥٦) وعلى رأسهم دو ون شيو فى دالى لمقاومة حكومة تشينغ ، وتأسست حكومة الفلاحين فى دالى ، وقد فشل جيش الانتفاضة فى سنة ١٨٧٢ ، وهربت جماعة من الجنود الى هنا ، وابناؤهم اليوم يعيشون هنا .

فى محافظة لوفونغ بعض ابناء قومية هوى ، واسم عائلتهم نادر جدا ، يعنى لفظه « سو » ، انهم اخلاف شمس الدين على ما يقال . ويعود سبب تسميتها بهذا الاسم الى تخليد ذكر سلفهم .

والى جانب الاماكن المذكورة ، يوجد فى محافظتى ونشان ويويشى وغيرهما عشرات الالوف من قومية هوى ، وبسبب الوقت لم اذهب الى كافة الاماكن التى اتيت الى هنا من اجلها . هذه ليست الا احوال بسيطة ومعارف حسية قليلة تجاه المسلمين فى يوننان .

ان مقاطعة يوننان احدى المقاطعات المتعددة القوميات فى الصين . . بها اكثر من عشرين قومية سوى قومية هان . وقومية هوى عضو من افراد هذه العائلة الكبرى . ومنذ مئات السنين والاشقاء من مختلف القوميات يفتحون ويبنون المنطقة النائية الصينية هذه . ولا بد لهم اليوم فى المرحلة الجديدة لبناء التحديثات الاربعة ان يقدموا مساهمات اعظم .

ختشو ـــ « مكة » فى الصين

بقلم : ما تونغ

سميت ختشو « مكة فى الصين » منذ نحو ١٠٠ سنة حين انتقل اليها مركز النشاطات الاكاديمية للاسلام فى الصين من تشانغآن بسبب قمع حكام اسرة تشينغ الملكية لمسلمى مقاطعة شنشى . فاصبحت ختشو من اكثر المتجمعات الصينية مسلمين .

تاريخ ختشو

تقع ختشو فى مقاطعة قانسو شمال غربى الصين واسمها اليوم لينشيا . ومساحتهــا ٨١٠٠ كيلومتر مربع ، معظمها حقول مزروعة . وقد قال المسلمون المحليون ان اسلافهم جاءوا الى ختشو فى اسرة تانغ الملكية (٦١٨ – ٩٠٧) . ولأن ختشو كانت فى طريق الحرير القديم والتجار الفرس والعرب من المترددين عليه ، فمن المحتمل ان بعضهم استقروا فى ختشو . اما التسجيلات الواضحة فاولهـا فى اسرة يوان . اذ جاء فى « تاريخ اسرة يوان » ان جنكيزخان فتح فيما بين ١٢١٨ و١٢٢٥ اواسط آسيا حيث أسر اكثر من ١٠٠ الف رجل ، نظم منهم ، رئيسيا ، جيشا أمره بالمرابطة فى شينينغ وختشو بعد فتح تلك المناطق . ومن المحتمل ان قومية دونغشيانغ التى تعيش فى ختشو وتعتنق الاسلام من ذراريهم . وفى اسرة مينغ الملكية نزح عدد من المسلمين من الجنوب الى ختشو واخلافهم يذكرون دائما موطنهم السابق . وقد امتزج كل هؤلاء الفرس والعرب مع قومية هان والتبت ومنغوليا المحلية ومن ثم تشكلت قومية هوى ودونغشيانغ وباوآن الاسلامية وبلغ عددهم ٧٠٠ الف شخص ، وما زال فى لغتهم الى الآن كثير من الكلمات الفارسية والعربية .

ظل مسلمو ختشو ينشطون فى التجارة والاشغال اليدوية فلهم دكاكين ومطاعم صغيرة يغلقونها عند وقت الصلاة ويعودون بسلعهم الى البيت فى المساء .

منشأ المذاهب

يعتنق الاسلام ٦٠٪ من سكان ختشو ، تابعين لمذاهب مختلفة ، نشأت فى بلاد العرب واواسط آسيا وتطورت فى ختشو وانتشرت بعضها فى المناطق الصينية الاخرى . . مذهب القديم له تاريخ عريق يرجع الى اكثر من ١٣٠٠ سنة ومنبعه مذهب اهل السنة التى جاء بها بعض التجار العرب والفرس فى فترة اسرتى تانغ وسونغ الى قوانغتشو وتشيوانتشو ويانغتشو وهانغتشو ثم الى تشانغآن وختشو . ومذهب الاخوان عاد به من مكة احد الحجاج من قومية دونغشيانغ قبل ٨٠ سنة . ومذهب توفيقى بين الاسلام والكونفوشية له تاريخ مماثل لمذهب الاخوان وقد خلقه ليو جيه ليان العالم المسلم فى مدينة نانكين . ومذهب الصوفية دخل الصين فى عام ١٦٦٢ واندمج مع الكونفوشية الصينية . الى جانب ذلك هناك مذاهب كبيرة مثل الكبروية والخوفية والقادرية والجهرية ، لها ٤٠ فرعا تابعا ، نشأ معظمها فى ختشو ثم انتشر فى شمال الصين الغربى . وكان فى ختشو ١٩٤٤ جامعا و٥٥٠٠ امام وعالم بالاسلام عند الخمسينات .

لماذا نشأت او تطورت المذاهب الاسلامية الكثيرة فى ختشو ؟ اولا لان تلك المنطقة كانت مركزا عسكريا ، صار اكثرية جنوده من المسلمين منذ اسرة يوان واسرة تشينغ ثم استوطنوا فى المنطقة . ثانيا لان المنطقة كانت سهلة فى المعيشة فيها الحقول الخصبة والمراتع الواسعة كما كانت سوقا هاما لتبادلات القوميات . فانجذب عدد كبير من المسلمين اليها للتجارة والاستقرار . ثالثا ، وبسبب تجمع المسلمين فى المنطقة بادر اليها رجال الدين من بلاد العرب واواسط آسيا فور وصولهم الى الصين للتبشير بالاسلام وقد لقوا ترحابا حارا . وتناقلت الالسنة المحلية ان ٤٠ مبشرا بالاسلام جاءوا الى ختشو من اواسط آسيا فى اواخر اسرة يوان واوائل اسرة مينغ . وما زالت قبورهم باقية ولهم عدد كبير من الذرية . وفى أواخر اسرة مينغ جاء مبشر من بلاد العرب واستقر فى ختشو وذريته يعيشون الآن فى احدى القرى هنالك . وبعده جاء مبشران عربيان ما زال لهما حتى اليوم اتباع فى ختشو وتشينغهاى ونينغشيا . ومن ختشو ذهب كثير منهم الى مكة وخاصة منذ اواسط اسرة تشينغ الملكية — كان يسافر سنويا ٢٠ او ٣٠ مسلما . وبلغ عدد الحجاج فى احدى القرى ٦٧ شخصا فيما بين عامى ١٩٣٣ و١٩٤٩ ، ٨ منهم استقروا فى مكة وامكنة اخرى . ولما عاد الحجاج

خلقوا بما تلقوه من التعاليم الاسلامية مذاهب شتى مثل الجهرية والخوفية والاخوان . ومن هنا يمكن القول ان التبادلات الودية بين ختشو الصينية وبلاد العرب عريقة التاريخ طويلة الامد وان الصداقة الاخوية بين المسلمين العرب والمسلمين الصينيين دائمة صادقة .

التقاليد الحميدة فى مقاومة الاضطهاد

كانت ختشو مهدا لمقاومى الحكام الطغاة منذ مئة سنة حيث تتابعت انتفاضات عادلة جياشة بقيادة الائمة او الاعيان المحليين منها انتفاضة اشترك فيها ٣٠٠٠ مسلم ضد الاضطهاد القومى وقد فتحوا مدينة ختشو وحاصروا مدينة لانتشو حيث ثابروا على محاربة عشرة آلاف من جنود الحكومة نصف سنة حتى ضحوا بحياتهم فى جبال هوالينغ القريبة من المدينة . وفى انتفاضة قومية هوى قاد الامام ما تشان آو اكثر من مئة الف مسلم فى النضال الدموى الذى استمر ١٠ سنوات . وفى عام ١٩٢٨ استنهض ما تشونغ ينغ ، وهو فى الـ ١٨ من عمره ، عشرات الوف المسلمين فى مقاومة قمع واضطهاد الحكومة الظالمة . وفى عام ١٩٤٣ انفجرت انتفاضة فلاحية من مختلف القوميات اشترك فيها الوجيه المسلم ما فو شان وما جى تسو بعشرة آلاف مسلم . . فى كل هذه الانتفاضات شكل المسلمون المجاهدون قوة رئيسية ضد البغى والظلم ببسالة وعناد من اجل السعادة والمساواة . مع انهم انتهوا بالفشل لكن مآثرهم المشجعة ظلت خالدة لا تمحى .

حاضر ختشو

فى يوم ٢٢ اغسطس عام ١٩٤٩ حررت ختشو تحريرا تاما تلته الوحدة القومية والنهضة الاقتصادية . وفى عام ١٩٥٦ انشئ فيها الحكم الذاتي الذى حقق السيادة للاقليات القومية الاسلامية وانقذها من كل معاناة واهانة . فتولى الكوادر منها كل المناصب الرئيسية على مختلف المستويات . وفى هذه السنوات الاخيرة تمت تصفية آثار عصابة الاربعة ونفذت السياسات تنفيذا كاملا وخاصة سياسة الوحدة القومية والحرية فى اعتقاد الدين فشهدت ختشو ١٨٠٠ مسجد ، فى كثير منها تلاميذ يتلقون اللغة العربية والقرآن الكريم واحتفل المسلمون باعيادهم الاسلامية فى فائض البهجة والفرح .

ما تونغ : من قومية هوى مسؤول مكتب دراسة الاسلام بمعهد البحوث القومية فى مقاطعة قانسو .

رحلة الى ولاية لينشيا الذاتية

الحكم لقومية هوى

استطلاع : مراسلنا فائق ما لينغ يوى

انطلقنا من مدينة لانتشو حاضرة مقاطعة قانسو ، فى الساعة السابعة صباحا .

وما ان خرجنا من لانتشو حتى تسلقت بنا السيارة الجبال الشاهقة من هضبة التراب الاصفر فى شمال الصين الغربى ، متجهة نحو الجنوب الغربى . وعندما وصلنا الى محافظة قوانغخه اشارت عقارب الساعة الى الحادية عشرة تقريبا . ثم قال الكمسارى للركاب : «ستقف السيارة اربعين دقيقة .»

يعرف بعض الركاب المحليين أنه كلما وصلت السيارة الى هنا يجب على السائق والركاب ان يتناولوا الغداء . وقفت السيارة فى شارع فيه كثير من المطاعم والمقاصف الاسلامية . سمعت عندما كنت فى مدينة لانتشو ان محافظة قوانغخه هى احدى المحافظات التى اغلب سكانها من ابناء قومية هوى . وهذه المطاعم شاهد على ذلك . المارة معظمهم يلبسون قبعات بيضاء ، والنساء يلبسن اغطية الرأس السوداء . والفتيات يلبسن الاغطية الخضراء . . والعجائز يلبسن اغطية الرأس البيضاء ، ولكن الطالبات والموظفات من قومية هوى لا يلبسن اغطية الرأس عادة .

بعد فترة الراحة انطلقت بنا السيارة من جديد ، وكانت تنهب الارض نهبا وتطوى السفوح طيا ، تبدو وكأنها استراحت جيدا وشبعت فعاد اليها النشاط . وبعد نزول السيارة من الجبال بدأت تسير فى واد . وهذا الوادى صار يتسع شيئا فشيئا مع سير السيارة ، وكذلك القرى بجانبى الطريق تكثر تدريجيا ، وظننت آنئذ حسب الساعة والمعارف ان مدينة لينشيا تقترب منا ، ونحن على وشك الوصول اليها .

نعم ، قد انقضت مدة قصيرة ، وسمعت احد الركاب يصيح : ها قد دخلنا فى لينشيا ! فألقيت النظر الى خارج السيارة ، ذلك لأن الفضول قد دفعنى . كلما أسافر الى مكان غريب بعيد ارغب فى مشاهدته ومعرفة احواله ، احب ان اشاهد الشوارع والمارة فيها ، وما هى ملابس اهله وما هو طراز البيوت ، وما اذا كانت تكثر الدكاكين . وعلى كل حال اريد ان افهم معالم المدينة وحياة سكانها . اذن كيف معالم هذه المدينة ؟ ليس فيها بنايات ضخمة تثيرنى ، بل رأيت كثيرا من الدكاكين الجديدة بين البيوت القديمة ، وفيها بضعة مسارح ودور سينما جديدة ، تكاد تشابه مدينة لانتشو عاصمة مقاطعة قانسو ، او تشابه بعض المدن الكبرى . فشوارعها الرئيسية مكتظة بالناس ، وسيارات النقل تروح وتغدو . . . . ثم فجأة ظهرت امامى حديقة مستديرة فيها تتفتح ازهار الفاوانيا الناضرة المتنوعة . ولا عجب ان الزحام شديد هنا ، ربما لأن الناس يبادرون الى مشاهدة الفاوانيا . ثم وجدت خمسة شوارع على الاقل تمتد ابتداء من هنا او تلتقى هنا ، فلا غرابة ان يكون هذا المكان مركز المدينة ، مركز الازدهار .

وقفت السيارة فى مكان غير بعيد عن الحديقة ، وسألت احد الركاب : « هل يمكننى ان انزل هنا واذهب الى دار الضيافة ؟ »

اجابنى قائلا : « نعم ، الافضل ان تنزل هنا . » فنزلت مستعجلا . ولأننى جئت هنا لاول مرة ، بدا كل شئ فى نظرى غريبا . . الانسان غريب والطريق غريب . والمثل الصينى يقول : « تحت انفك طريق » . يعنى يجب المساءلة بكثرة . فان المساءلة هى احدى الطرق المؤدية الى العلم ، اذا اردت فهم لينشيا يجب عليك ان تفعل ذلك .

مدينة لينشيا احدى المدن العريقة التى يقطن فيها ابناء قوميتى هوى وهان ، وكان ابناء قومية هوى قبل التحرير يقطنون فى حى بافانغ خارج المدينة ، وابناء قومية هان فى داخل المدينة ، ولم يكن بينهم حسن جوار بل البغضاء احيانا . اما بعد التحرير وخاصة فى السنوات الاخيرة فتحسنت العلاقة بينهم تحسنا عظيما . فتسمى بمدينة الاتحاد على شاطئ نهر داشيا . ان بعض اهل قومية هوى يسكنون فى داخل المدينة ، وكذلك بعض اهل قومية هان يقطنون فى حى بافانغ ، وهم يتوادون كأنهم افراد اسرة واحدة .

كانت مدينة لينشيا من المدن التاريخية الشهيرة فى اطراف بلادنا ، وهى تبعد عن العاصمة بكين ٢٠٠٠ كيلومتر ، تلقب باسم « مدينة الآفاق » . واسمها الاصلى فوهان ، وما زال هذا الاسم موجودا . وهناك كومونة شعبية تسمى كومونة « فوهان » ، وبعد القرن الثالث عشر صار اسمها « ختشو » . وقد أثنى عليها وتغنى بها القدماء . جاء وصف لها فى كتاب « ختشو » فى اسرة مينغ الملكية (١٣٦٨ – ١٦٤٤) : ان الجبال والانهار تلتف حولها وتعد من المناطق الاستراتيجية . وجمالها الطبيعى وآثارها التاريخية تفوق المدن الاخرى . ومشاهيرها ليسوا اقل من مشاهير المناطق الداخلية . والعادات والتقاليد فى غاية البساطة . واهلها يحافظون على الاخلاق الاجتماعية ويجتهدون فى الزراعة ، وعند الزواج لا تهمهم الثروة والجاه .

واليوم فى ولاية لينشيا ١٤ قومية منها هوى وهان ودونغشيانغ وباوآن وسالا وتو . ويبلغ عدد سكان الاقليات القومية اكثر من ٧٠٠ ألف ، منها اربع قوميات مسلمة ، هى قوميات هوى ودونغشيانغ وباوآن وسالا . فلذلك كانت المساجد كثيرة جدا واليوم فتحت مصاريع ١٣٠٠ منها للمسلمين ، وتسمى لينشيا « مكة المكرمة » الصغيرة .

عندما جاء الحديث عن مكة المكرمة ، اخبرنى احد الاصدقاء بان هنا بعض المسلمين لهم اقارب واصدقاء يقيمون فى المملكة العربية السعودية ، واليوم هؤلاء الاقارب يكتبون دائما الى اهلهم فى الوطن الام ويطلبون منهم فى بعض الاحيان ان يرسلوا لهم الشاى والفلفل الصينى . ولدى زيارتى لبعض أسر المسلمين رأيت بعينى رسائل قادمة من المملكة العربية السعودية .

الفنون الشعبية فى لينشيا

ان ابناء القوميات المختلفة فى لينشيا لم يخلقوا حضارة مادية فحسب ، بل ابدعوا ثقافة وفنونا فريدة .

ان لحن « الزهرة » شكل من اشكال الاغانى الشعبية التى يحبها أهل شمال الصين الغربى ، موطنه لينشيا . وفوق ذلك ، تنتشر « ألحان المآدب » وسط الجماهير من قومية هوى ، هذه النغمات ممكنة الغناء والرقص فى وقت واحد وعند زيارتى لينشيا عقد مكتب الثقافة التابع لولاية لينشيا ندوة ومهرجانا للفنانين

الفلاحين بقصد ارث وتطوير الفنون التقليدية ، مما استخرج وكشف عن المزيد من الفنون الشعبية .

النحت على القرميد لؤلؤة من الفنون الشعبية القومية فى لينشيا ، وهو قد نشأ فى اسرة سونغ الشمالية (٩٦٠ — ١١٢٧) وازدهر فى اسرتى مينغ وتشينغ ، وهذا الفن قد واصل المسيرة حوالى عشرة قرون . وقد كنت مشتاقا الى مشاهدة الفنون القرميدية النحت ، ويقال ان القصر الشرقى ، المنزل القديم لاحد امراء الحرب ما بو تشينغ ، ما زال محافظا على الفنون القرميدية النحت بصورة افضل . ذات يوم تحققت امنيتى . فقد زرت مع السيد لى تشنغ موظف الحكومة القصر الشرقى ، وما ان دخلنا بوابته حتى رأينا حاجزا عليه كرمة عنب قرميدية دقيقة النحت ، فى الفناء بوابتان على شكل زهرية قرميدية النحت . وعلى جدران البيوت قراميد منحوتة ، بعضها من الازهار وبعضها من الطيور والحيوانات مثل الايل او المناظر الطبيعية وكذلك فى داخل الغرفة . ويمكن القول : فى كل حيز تتفتح ازهار الفنون القرميدية النحت . ان النحت على القراميد لا يبدو لك فاخرا مثل الاعمال الحجرية النحت ، ولكنه مفعم بذوق خاص ، يعطى الناس انطباعا بالبساطة والهدوء .

ومن اجل مواصلة فنون النحت على القراميد يعلم الفنانون المجربون من قومية هوى دفعة من التلاميذ . وفى يوم من الايام ستتفتح حتما ازهار الفنون القرميدية النحت على قاعات اشتراكية شاهقة فى لينشيا .

المسلمون فى شانغهاى

بقلم : تشانغ تشى تشنغ

شانغهاى اكبر مدينة صناعية وتجارية فى الصين ومن اضخم المدن فى العالم اذ بها نحو ١١ مليون نسمة ، منهم ٣٠ الف مسلم ، يتجمع معظمهم فى شارعين والبقية ينتشرون فى احياء اخرى بالمدينة .

الاسلام فى شانغهاى

فى ايام اسرتى تانغ وسونغ ، توافد التجار المسلمون من بلاد العرب والبلاد الفارسية الى قوانغتشو وفوجيان بحرا وربما وصل بعضهم الى شانغهاى التى كانت تابعة لمحافظة هواتينغ التى وصفها احد السجلات التاريخية بانها « محافظة ضخمة مشهورة بسهولة مواصلاتها برا وبحرا فى ساحل جنوب الصين الشرقى ، يتسابق اليها كبار الاثرياء والتجار العرب والفرس » . ومع تطور الصيد وصناعة الملح صارت المحافظة بالتدريج مجمعا من التجار العرب والفرس ومرتعا للمواد المختلفة والبضائع الزاخرة .

ومنذ اسرة يوان (١٢٧١ – ١٣٦٨) تدفق ، حسب السجلات التاريخية ، عدد كبير من المسلمين الى شانغهاى التى كانت مثل كثير من الموانئ فى الجنوب الشرقى غاصة بالاعيان من المنغول واهل الشام ورجال الدين والتجار الاوربيين والآسيويين . وفى عام ١٢٧٧ زحف المنغول الى جنوب نهر اليانغتسى وقد جاءوا بكثير من اهل الشام فطاب لهم المقام . وفى عام ١٢٩٥ عين رجل من اهل الشام اسمه ناصر الدين فى منصب مرموق فى المحافظة فجاء ومعه ٣٠ الف شخص من قبيلته . وفيما بين عام ١٣٤١ وعام ١٣٦٧ بنى مسجد فى المحافظة يصلى فيه اهل الشام كما يزوره التجار الآسيويون والاوربيون ، وظهر بجانبه مقبرة اسلامية واسعة . وبهذا يمكن القول ان الاسلام دخل شانغهاى فى تلك الفترة .

المسلمون فى شانغهاى

فى عهد اسرة مينغ واسرة تشينغ ، استقر المسلمون من البلدان الخارجية فى مدينة شانغهاى . فقد اكتشف فى قبر قديم قطعة مستديرة دقيقة من اليشم منحوت عليها « لا اله الا الله محمد رسول الله » باللغة العربية . كان المسلمون يعلقونها على صدورهم تقوى لله . وفى عام ١٨٤٠ جاء تجار مسلمون بخيول الى شانغهاى من الشمال الشرقى حيث استقروا لترويض الخيول خدمة للمشترين الاجانب وبنوا مسجدا بعد زمن قصير . وفى عام ١٨٥٠ غادر مسلمو نانكين الى شانغهاى هروبا من شقى الحروب الوطيسة واختاروا منطقة فى جنوبى المدينة للاستقرار فيها وبنوا فيها مسجدا . وبعد ١١ سنة من ذلك ظهرت اول مقبرة المسلمين فى مدينة شانغهاى .

وما زال فى المدينة ٣ مساجد ، بها ائمة يشرفون الى جانب الشؤون الدينية على كل الاحتفالات فى الاعياد الاسلامية .

نظام التعليم

كان الاسلوب القديم لدراسة التعاليم الاسلامية متمثلا فى التلاوة بالمسجد والنسخ والحفظ بالبيت . ومنذ القرن التاسع عشر ظهر فى شانغهاى نظامان للتعليم الاسلامى احدهما تتبعه المساجد التى تقبل عددا من التلاميذ لدراسة « القرآن » و« الحديث » على يد الائمة واللغة العربية والفارسية درسهم الاساسى . والنظام الثانى ساد المدارس الاسلامية التى انشئت فى بكين وشانغهاى وشاندونغ فى حركة اصلاح نظام التعليم الاسلامى بالصين . وقد ولدت مدرسة التعليم الاسلامى بشانغهاى عام ١٩٢٨ لاعداد ائمة بارعين فى اللغة العربية والصينية . فلم تلق الدروس حول الدين الاسلامى فحسب بل حول المعارف الثقافية والعلوم الاساسية ايضا . فأزالت بهذا قصور النظام الاول وقد ارسلت ٦ طلبة الى الجامعة الازهرية منهم محمد مكين الذى اصبح استاذا مشهورا فى جامعة بكين .

وفى عام ١٩١٤ اقيمت الاكاديمية الاسلامية الصينية فى شانغهاى ولها اثر عظيم فى ترجمة « القرآن » الى الصينية وادارة مدارس اللغة العربية ومدارس التعليم الاسلامى واصلاح التعليم الدينى . وفى عام ١٩٢٩ انشئت جمعية الاسلام الصينية فى شانغهاى لاعداد الائمة وادارة المدارس .

ومع اصلاح وتطوير التعليم الاسلامى نشرت فى شانغهاى كتب عن تعاليم الاسلام وتاريخه ومواد تدريسية للغة العربية واكثر من ١٠ صحف ومجلات كما اقيمت ٢٠ مدرسة متوسطة وابتدائية اسلامية .

حياة جديدة

كانت شانغهاى فى الصين القديمة جنة للامبريالية وجهنم للاهالى المحليين . وكان المسلمون اشد تعرضا للاضطهاد سياسيا واقتصاديا وثقافيا فتضامنوا فى مقاومة الامبريالية والاقطاعية وقد سجلوا مآثر بارزة فى نضالات بطولية مثل حركة ٣٠ مايو عام ١٩٢٥ وانتفاضة عام ١٩٢٧ العمالية وحرب التحرير .

وبعد التحرير تمتع المسلمون مثل كل الاهالى بحياة جديدة .. لهم حقوق متساوية ، ١٢ نائبا فى مجلس نواب شعب المدينة و٥ اعضاء فى مجلس المدينة الاستشارى السياسى و٥٩ نائبا و٥٤ عضوا على مستوى الحى وهم يشتركون فى مناقشة وتقرير شؤون الدولة .

وشهدت معيشة المسلمين تحسنا بالغا تحت عناية الحكومة الشعبية . كل العاملين المسلمين فى مختلف الجبهات يحظون بعلاوة مالية وخدمة طبية مجانية .

وتم تعميم التعليم الابتدائي والمتوسط فى المدينة وبرز من المسلمين كوادر ومثقفون فى الدوائر الحكومية وقطاعات الصناعة والزراعة والعلوم والثقافة والتعليم والصحة . وانشئت مدرسة متوسطة و٤ مدارس ابتدائية خاصة للمسلمين .

ولقى اعتقاد المسلمين المزيد من احترام الحكومة وحماية القانون .. لهم حرية تامة فى ممارسة نشاطاتهم الدينية واتباع عاداتهم الخاصة والاحتفال باعيادهم الاسلامية . يذهب ٨٠٠ مسلم الى المسجد للصلاة فى يوم الجمعة و٤٠٠٠ مسلم فى عيد الفطر . هذا وقد انجز ترميم كل المساجد بمال الحكومة .

ومنذ عام ١٩٦٢ وفرع شانغهاى للجمعية الاسلامية الصينية يساعد الحكومة فى تنفيذ سياسة مساواة القوميات وحرية الاعتقاد الدينى ويستنهض المسلمين فى البناء الاشتراكى ويبلغ الحكومة آراءهم وطلباتهم وينظم رجال الدين فى الدراسة السياسية والبحوث العلمية للتعاليم الاسلامية والمعلومات التاريخية ويقيم الاحتفالات الدينية ويبادل الاتصالات الودية مع المسلمين فى بلدان العالم لزيادة التفاهم وتعزيز الصداقة .

تشانغ تشى تشنغ : عامل فى فرع شانغهاى للجمعية الاسلامية الصينية .

حي المسلمين في شينينغ

بقلم : ليو جيو تشى مراسلة « بناء الصين »

في مدينة شينينغ حاضرة مقاطعة تشينغهاى بشمال الصين الغربى حى يقطن فيه ٤٠ الف مسلم اى اربعة اخماس مسلمى المدينة ، معظمهم من قومية هوى والبعض من قوميات دونغشيانغ وسالا وقازاق . وقد قيل ان اجدادهم قد هاجروا من قانسو ونينغشيا منذ سنين بعيدة .

تنتشر فى حى المسلمين هذا ١٠ مساجد من بين ١٦ مسجدا فى كل المدينة . ومراسيم الاعياد الاسلامية تقام فى جامع دونغقوان الاكبر لانه من اشهر الجوامع الاربعة فى شمال الصين الغربى . فقد بنى على طراز القصر الامبراطورى الصينى عام ١٣٨٠ وشهد تخريبات وترميمات حتى كانت مساحته فى عام ١٩٤٦ نحو ٢٠ الف متر مربع .

من حظى اننى وصلت عشية عيد الفطر الى شينينغ لزيارة حى المسلمين . ففى صباح اليوم التالى هرعت الى الجامع الاكبر الواقع فى ذلك الحى بينما كان مسؤولو الحكومة على مستوى المقاطعة والمدينة قد تواجدوا يهنئون المسلمين الحاضرين الذين يجلسون باتساق فى صحن الجامع على ما جاءوا به من البسط واغطية الارائك وسجاجيد الصلاة وقد تجاوز عددهم ١٧٠٠٠ شخص . اما فى الايام العادية والمساجد تفتح كلها فلا يبلغ عدد المصلين فى الجامع الاكبر ١٠٠٠ شخص ، فى مصلى الجامع المفروش باللباد والذى يشغل ١١٠٢ من الامتار المربعة لكن المسلمين يفضلون الارض المبلطة فى الجامع عند عيد الفطر وعيد الاضحى والمنبر ينقل الى صحن المسجد .

فى الساعة التاسعة افتتح رئيس مجلس ادارة الجامع هان مراسيم صلاة العيد التى انتهت بعد ٤٠ دقيقة فبادلته حديثا فى مكتبه وقال لى : « لكل مسجد من مساجد المدينة والمقاطعة مجلس ادارة تم انتخاب اعضائها بالاسلوب الديمقراطى.

ومجلسنا يضم ١٣ عضوا ، منهم عمال وكوادر وائمة وشخصيات من الفئات العليا والوسطى ومهمة المجلس تتركز فى تنفيذ سياسة الحكومة حول الاديان واختيار الائمة ومراقبة اعمالهم وصرف اجور لهم وتنظيم النشاطات الدينية الهامة والاشراف على حماية وترميم الجامع وادارة الحسابات واعداد الائمة الجدد . . انا اليوم فى الـ ٥٥ من عمرى . قبل ٤٥ سنة دخلت احد المساجد لادرس اللغة العربية وفى الـ ١٨ من عمرى انتقلت الى الجامع لاواصل الدراسة وبعد ٥ سنوات اصبحت معلما فى الصف الدراسى العالى (٤٠ طالبا) الذى اداره الجامع قبل عام ١٩٥٨ الى جانب صف متوسط من ٦٠ طالبا لتعليم القرآن باللغة العربية . وفى السنة الماضية قبلنا ١٠ طلاب ، القى عليهم درسين كل يوم . »

ساعتها دخل علينا عدة رجال يتسابقون على دعوة هان الى وليمة عائلية فاعتذر بانه سيصل بعد لحظة الى بيته كثير من المسؤولين للتهنئة ثم يذهب معهم لزيارة بعض المسلمين .

* * * * * *

بصحبة صحفى من « جريدة تشينغهاى اليومية » تجولت فى الشوارع والازقة لارى . البنات فى خطوات رشيقة وضحكات رنانة يأكلن الحلويات ويتبادلن الفكاهات وهن متبرجات بالملابس الجميلة والقلائد الرقيقة من الخرز القرنفلى والابيض على صدورهن وعقد بالحرير الاحمر والاصفر فى ضفائرهن ، والاولاد فى الملابس الجديدة يلعبون ويتمازحون فى مرح وغبطة . . الى ان وصلنا الى بيت امام (من قومية دونغشيانغ) بمسجد بيقوان المسجد الاكبر الثانى فى حى المسلمين . قد دعانا الى الدخول فى حرارة ، تزايدت عندما سلمت عليه باللغة العربية واخبرته اننى قد درستها عدة سنوات . كان فى غرفة الاستقبال المعلق على بابها سارة حريرية فاتحة الخضرة مزركشة بالخيوط الصفراء « دار النعمة بيت البركة » فى اللغة العربية ، ١٢ او ١٣ رجلا وولدا ، هؤلاء من اخوان الامام مع اولادهم وصهره وحفيديه ، يلتفون حول مناضد زاخرة بالاطايب السائغة ، والمروحة الكهربائية بجانب مكتب عليه نسخة جديدة من القرآن باللغة الصينية وكتب عتيقة

مغلفة بالقماش المشجر القاتم ، ينشر طيب الشاى وعبق البخور ونكهة الطعام فى كل الغرفة .

بعد لحظة دخل علينا فقال الامام : « هذا ابنى الوحيد ومسؤول البيت ايضا . لى ثلاث بنات ، البكر عاملة قد تزوجت قبل سنة والثانية انهت الدراسة بالمدرسة لتلزم البيت لانها مريضة بالقلب والصغيرة تلميذة فى المرحلة المتوسطة . كانت زوجتى عاملة فى مصنع الثياب لكنها تقاعدت مبكرا بسبب بنيتها الضعيفة . اما انا فمشغول جدا فاعطى ابنى اجرتى وكل ما يمنحنى المسلمون من المال ليتولى هو سلطة البيت الاقتصادية . »

سألت : « بم تشتغل الى هذا الحد ؟ »

اجاب فى ابتسامة : « كنت فى الـ ٤ من عمرى حين تعلمت اللغة العربية لاتلو القرآن الكريم . كان والد جدى اماما . وسافر جدى الى المملكة العربية السعودية ليدرس فى كلية الشريعة ٧ سنوات وعاد بتلك الكتب المغلفة بالقماش على المكتب ودرس ابى ٣ سنوات فى السعودية وتحت تعليمه اصبحت وانا فى الـ ١٨ من عمرى اماما من الجيل الرابع لاسرتنا . اليوم وانا فى الـ ٤٥ ، سعيد كل السعادة بعائلتى الهنيئة وعيشتى الناعمة فضلا عن استيعابى لتعاليم الاسلام ، ازداد شعورا بالواجبات على فى خدمة المسلمين . اسكن فى المسجد لاستجيب لكل طلب من المسلمين عند زفافهم او عودتهم الى الدار الآخرة . واذهب الى الجامع الاكبر لادرس مع ائمة المدينة سياسات الدولة وتوجيهات الحزب ونبدى ملاحظاتنا فيها وعليها تحت رعاية رئيس مجلس ادارة الجامع هان وهو ايضا نائب رئيس اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب فى المدينة وعضو المجلس الاستشارى السياسى فى المقاطعة . ونجتمع فى يوم الاحد من كل اسبوع وهو يوم راحة العاملين نتدارس فيه الشؤون الدينية .

* * * * *

استأذنا الامام لنزور كادرا من قومية هوى فى لجنة شؤون القوميات بالمقاطعة ، اسمه ما ده فانغ . داره مكسوة بحديقة ناضرة جميلة ، نصفها متفتح بالازهار الزاهية وفى النصف الآخر صفوف منسقة من الخضروات وشجرة تفاح عليها ثمار يانعة لم تمسها الحمرة بعد . ما ان دخلنا الغرفة حتى بهرنا

بصحون من الفطائر المقلية على منضدة مستديرة امام الاريكة : برتقال اصفر وفلفل احمر قرمزى ورمان احمر قان وباذنجان بنفسجى ، كلها فوق ورقات خضراء ، وريشات الطاووس الفاتنة وبتلات الاقحوان المنبسطة وقطع مستطيلة من كعك البيض ومربعة من بسكويت السمسم ومستديرة من حلويات العسل العاجية والفاتحة الخضرة . . عادت زوجته الى المطبخ بعد تحية لنا والح هو علينا بتذوق كل لون من الفطائر . لم يسعنى الا ان اتناول برتقالة . . انها محشوة بمعجون العناب والسمسم الاسود وسكر النبات وزهر الغار . اخبرنا مسرورا ان هذه الفطائر من صنع زوجته . كانت امها بعد ان توفى ابوها تعيلها هى واربع اخوات بصنع الفطائر المقلية فى بيوت الاغنياء فنقلن عنها هذا الفن – استطاعت زوجته ان تصنع اكثر من ١٠٠ نوع لكن فقط فى الاعياد وبكميات قليلة لانها مسؤولة نشيطة فى اتحاد نساء الحى عن تنظيم الاسرة وحماية صحة النساء وتثقيف الاطفال ومراقبة نظافة البيئة . وهى من القلائل فى المدينة من المسلمات المثقفات بالدراسة الجامعية فقد درست ٣ سنوات فى كلية الطب بمعهد القوميات المركزى ثـم التحقت بمعهـد طب شيآن . لكنها قطعـت الدراسة مضطرة بسبب مرض شديد .

صب لكل منا كوبا من الشاى مع اللبن ، المشروب الخاص للقومية التبتية . وقال حين دخل ابنه البكر العامل (١٩ سنة) بثلاثة اطباق شهية وسلطانية كبيرة من حساء الرز وصحنا من رقيقة الخبز : « تفضلوا بلا تكليف . من عادة قوميتنا ان ربة البيت اذا لم يأت ضيوفنا على كل الاطعمة تحزن ظنا من رداءة فن طبخها ويغضب عليها زوجها . »

اخيرا جاءت المضيفة بحساء لذيذ اعجبنا كثيرا ، تطفو فيه رقائق بيضاء من العجين بشكل المعين طولها سنتيمتر وعرضها مليمتر ، وورقات خضراء من الكسبرة وقطع من الفطر باللون الترابى والجمبرى المجفف باللون البرتقالى فتهافتنا عليه فى ثناء عاطر والمضيفة تبتسم ابتسامة فخر وعز وهى تقف جانبا دون مشاركتنا فى الاكل لان البيت ما زال يتبع تقليد عدم حضور النساء فى وليمة العيد . بعد الطعام ساعدتها فى رفع المائدة الى المطبخ حيث الموقد المغطى بالبلاط الخزفى الابيض نظيف لامع والخضروات الطازجة مكدسة فى ركن بانتظام فمدحتها قائلة : « يا لك من ربة بيت بارعة ! » قالت مبتسمة : « عفوا . .

تعارفنا انا وزوجى منذ الصغر اذ هاجر كل منا مع عائلته الفقيرة من قانسو الى تشينغهاى فى سنة من سنوات المجاعة . وبعد تحرير البلاد وجدنا العمل فتزوجنا ثم امكننا الادخار شيئا فشيئا . فى عام ١٩٧٦ قدمت دائرة زوجى شقة لنا لكن امى التى كانت على قيد الحياة رغبت عن الاقامة فى العمارة فأذنت الدائرة لنا فى بناء بيت وساعدتنا فى البحث عن هذا المكان الذى كان خاليا من بناية . والاكثر من ذلك خصصت لنا كمية من الاسمنت والطوب فانفقنا حوالى ١٧٠٠ يوان فقط فى بناء ٦ غرف من طابق واحد ، مجموع مساحتها يبلغ ٩٠ مترا مربعا ، وقد اثثناها على طراز عصرى فى السنوات الأخيرة واشترينا جهاز تلفزيون . . »

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما غادرنا بيتها فاتفقنا على زيارة عامل مسلم متوسط فى معيشته فى اليوم التالى .

* * * * *

تقع فى الجنوب من الجامع الاكبر على مسافة ١٥٠ مترا دار ضيقة ، داخلها بناية جديدة من طابقين ذات ٦ غرف وسلم خارجى ، تم بناؤها بتصميم تيه تسون يى نفسه (٤٢ سنة) وبمساعدة الاقرباء والاصدقاء . تيه تسون يى عامل فنى فى ورشة لاصلاح الساعات ، فيها اكثر من ٦٠ عاملا . كان ابوه الراحل معلما مشهورا بهذه المهنة فى حى المسلمين . ولتكوين جيل ثالث يعلم هو ابنه البكر فن الاصلاح . اما ابنه الثانى فعامل بمصنع الفولاذ والثالث والرابع فى المدرسة وابنته الصغيرة فى روضة الاطفال لان زوجته تعمل مفتشة فى مصنع الغزل الصوفى . ودخل العائلة يقرب من ٢٥٠ يوانا فى الشهر ، ٥٠ أو ٦٠ منها فائض عن مصاريف العيش . فى السنة الماضية بنى بيتا جديدا واشترى اثاثا بمدخراته وارثه من ابيه اى بمبلغ ٢٥٠٠ يوان .

قال : « فى الاعوام الأخيرة تحسنت معيشة عائلتى تحسنا عظيما رغم انها لم تبلغ المستوى المتوسط بالمقارنة مع عمال ورشتنا ولم تتجاوزه الا قليلا بالمقارنة مع مسلمى حينا ذلك لأن الدولة نفذت سياسات صائبة حكيمة تهيج حماستنا فانكببنا على العمل بحيث منحت قيادة الورشة غسالة لكل منا كجائزة . فى الماضى كانت كل العائلات ، تقريبا ، تصنع اكثر من ٥٠ كيلو غراما

من الفطائر المقلية للاحتفال بعيد الفطر لكن فى هذه السنة قللنا نصف الكمية لنشترى ، بدلا منها ، كثيرا من الكعك الذى ينتجه معمل اطعمة اسلامية ، انشئ حديثا فى حينا ، وهو يضع فى علبة ورقية انيقة اكثر من ١٠ الوان لذيذة رائعة بوزن نصف كيلو غرام ، يعجب بها المسلمون مع ان ثمنها غال شيئا ما . فى عام ١٩٧٩ قمت برحلة متعة الى بكين ومدن كبيرة اخرى ووجدت ان الحياة فيها ليست احسن بكثير مما فى مدينتنا التى تقع فى الهضبة . والجو هنا شديد البرد شتاء لكن الحكومة توزع سنويا على كل عامل ٣٠ يوانا علاوة مالية للوقود و ٥ يوانات الموقد والمؤسسة تخصص سيارة لشحن الفحم الذى ثمنه ١٤ يوانا للطن الواحد الى كل عائلة كما تهب الحكومة لكل عامل متقاعد حسب مدة عمله ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ يوان حتى يقضى الشيخوخة فى صحة قوية صالحة لظروف الهضبة . اننا سعداء منشرحون فى الحياة رغم قلة الخضروات والسلع من حيث النوع ، متحابون متعاونون فى العمل . مثلا ، عندما صمت فى شهر رمضان ساعدنى الرفاق فى انجاز العمل حتى امكننى ان اذهب الى الورشة متأخرا واعود مبكرا . وفى عيد الفطر اذنت لى القيادة بعطلة ٣ أيام اضافة الى يوم واحد حددته الدولة للعيد وقد منح كثير من الوحدات عطلة اطول للمسلمين . »

زيارة الى قرية تار الاسلامية

بقلم : زهراء ليو

في ارياف شمال الصين الغربي عدد كبير من المسلمين . وقد سرى في شراييني الشوق لزيارتهم والتعرف عليهم ، على احوال معيشتهم وحياتهم ، عاداتهم وتقاليدهم . وكان من نصيبي ان زرت قرية اسلامية من قرى قومية هوى ، اسمها قرية تار في محافظة داتونغ بمقاطعة تشينغهاي . وهذه القرية فيلق انتاجي من ٢٤٠٠ نسمة و٣٠٠ هكتار ارضا تزرع رئيسيا بالقمح والفول . وحالته الاقتصادية فوق المستوى المتوسط بقليل ، يمكن ان تلقي ضوءا على معيشة المسلمين في ارياف الصين الواسعة .

مسجد جديد

القرية تعلو ١٩٠٠ متر فوق مستوى البحر ، محاطة بحقول من القمح ذهبية تفرقها بصورة متسقة قطعات مربعة خضراء من الفول والسلجم . وفي الشرق منها تل مرتفع ٣٠٠ متر مزروع بالقمح والسلجم على شكل منتظم من سفحه حتى قمته . فبدا وكأن الفلاحين قد نسجوا للهضبة المقفرة الرتيبة اللون ، اعزازا للارض ، ثوبا رائعا من اللونين الاخضر والاصفر لايقل جمالا عن النهر العريض بجنوب القرية يترقرق تحت ضوء الشمس الباسمة .

كل بيت في القرية مبني باللبن ومسقوف بالقرميد الاحمر مع فناء واسع محاط بسور ترابي سميك . ويتخللها شارعان او ثلاثة رئيسية محفوفة باشجار الحور الشاهقة وعدة قنوات صغيرة . وينتصب في وسط القرية برج مياه شامخ . وافخم المباني مسجد جديد في جنوبي القرية اعيد بناؤه عام ١٩٧٩ يتسع لالف شخص — اكبر المساجد في القرى المجاورة .

المسجد من تصاميم فلاح في القرية . . له سطح ناتئ مع افريز معطوف الى

اعلى وابواب وشبابيك منحوتة وعوارض مرسومة بالازهار والاشجار والجبال والانهار ، وامام المسجد ٤ شجرات من التفاح وحديقة زهرية مستديرة على كلا الجانبين . وامام مساكن الائمة فى الشمال تزرع الخضروات . وعلى سقف المسجد مكبران كبيران يستخدمان فى الاذان للصلاة حيث لم تبن المئذنة بعد .

يشرف على المسجد ٣ ائمة فلاحين تعلموا العربية فى المساجد وهم لا يزاولون العمل الانتاجى ولكنهم ينالون نصيبهم من نقاط العمل مثل غيرهم من المواطنين .

ويتردد الى المسجد للصلاة حوالى ٢٠٠ شخص فى الايام العادية وحوالى ٥٠٠ فى يوم الجمعة ، والجدير بالذكر ان هؤلاء المواطنين يحافظون على الفروض والعادات والتقاليد الاسلامية مثل الصوم والامتناع عن التدخين والشراب ، واطلاق الاسماء الاسلامية على المواليد مثل محمد وعلى وخديجة وعائشة وفاطمة .

وقد تبرع الفلاحون بـ ٤٠ الف يوان لاعادة بناء المسجد وخصصت الفرق الانتاجية عشرا من الايدى العاملة للبناء وارسل الفيلق سيارة وجرارة لنقل الطوب والاسمنت والمواد الاخرى .

تغيرات فى المعيشة

لم تكن القرية تسد كفايتها من الحبوب الغذائية فى الماضى وبالتالى انخفض مستوى المعيشة . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة طرأت على القرية مثلها مثل كل القرى فى انحاء البلاد تغيرات ملحوظة بفضل تعديل سياسة الاقتصاد الريفى . وقال رئيس القرية ان الفرق الانتاجية التابعة للفيلق اصلحت الادارة لتطبيق مبدأ « لكل حسب عمله » وتحديد نظام المسؤولية فانجزت او تجاوزت المهمات الانتاجية ووزعت على الفلاحين اكثر مما فجر حماسة العمل ورفع الانتاج . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، نوعت القرية فى اقتصادها حسب حالتها الموضوعية وظروفها فوسعت ٦٧ هكتارا من الفول (اعلى من اسعار القمح) وانشأت معامل لتصنيع المنتجات الزراعية كمعمل الشعرية والخل وبالاضافة الى ورش الاثاث والحدائد كما نظمت نحو ٢٠٠ فلاح لرصف الطريق والنقل والبناء واستخلاص الذهب فى المناطق الاخرى الامر الذى زاد من الدخل المالى .

ومجمل انتاج الحبوب فى القرية حاليا ٩٥٠ الف كيلو غرام – رقم قياسى . فتحقق الاكتفاء الذاتى ، لكل فرد ما متوسطه ٢٠٠ كيلو غرام سنويا ولم تعد الدولة فى حاجة الى تقديم المعونة بل اصبحت تحصل على ٨٥ الف كيلو غرام حبوبا كل سنة (من بينها ٤٥ الف كيلو غرام ضرائب) ، ونصف العائلات تبيع كل منها اكثر من الف كيلو غرام من الحبوب الفائضة فارتفع دخل الفلاحين بدرجات متفاوتة . مثلا ، اشترت اربعة اخماس العائلات دراجات وثلثاها ماكنات خياطة وآلات تسجيل .

ولم تشهد معيشة الفلاحين المادية تحسنا كبيرا فحسب بل نشطت حياتهم الثقافية . فقد اشترى الفيلق آلة عرض سينمائية وادوات للنشاطات الرياضية والفنية والتحق ٨٠٪ من الاولاد والبنات بالمدرسة الابتدائية وقد نجح كثير منهم فى الامتحان لدخول المدرسة المتوسطة التى تديرها الكومونة . اضافة الى ذلك اقام الفيلق متجرا وعيادة ومزرعة لبقر الياك ومحطة للزراعة العلمية .

ومع ذلك ما زال ٢٠٪ من اهالى القرية فى ضيق من العيش نسبيا (اى لا يبلغ معدل كمية الحبوب للفرد ١٥٠ كيلو غراما سنويا) ودخل الفرد فى الفرقة الانتاجية الاسوأ حالة يعادل ثلث ما فى الاحسن .

فى اسرة غنية

نزلت ضيفة على اسرة ميسورة الحال ، والاسر الميسورة تشكل ٥٪ من القرية . . . رب البيت هو فان دى تسانغ فلاح كدود (٤٧ سنة) . قبل سنوات ارسل الى فرقة مصلحة للطرق تابعة للكومونة وسرعان ما تولى منصب رئيس الفرقة نظرا لجده واحساسه بالمسؤولية . وابنه البكر سائق ممتاز فى الفرقة الانتاجية قد كسب لها اموالا كثيرة بسيارة النقل . اما افراد عائلته الآخرون زوجته وزوجة ابنه البكر وابنه الثانى فيعملون فى الحقول وحفيدته تدرس فى المرحلة الابتدائية وحفيداه فى روضة الاطفال التى تشرف عليها الفرقة الانتاجية مجانا . فى السنة الماضية حصلت عائلته على ٤٠٧٥ كيلو غراما من الحبوب واكثر من ٣٠٠ يوان و٣٥ كيلو غراما من الزيت وكسبت من بيع ٢٥٠٠ كيلو غرام من الحبوب الفائضة ١٢٠٠ يوان .

لكن كانت اسرته وهو صغير فقيرة معدمة بحيث اضطر والده فى سنة من سنوات المجاعة الى هجر القرية بالاسرة ومات فى طريق التشرد مرضا وجوعا .

فلم يكن لوالدته الا ان تتسول به واخويه الصغيرين وبدأ عندما كان فى الثانية عشرة من عمره يحمل الماء للبيوت الغنية اعالة للاسرة الى ان عاد بوالدته واخويه الى القرية بعد التحرير ليشترك فى الانتاج الجماعى . ثم عرف وتزوج فتاة اشتراها مالك الارض خادمة قبل التحرير لكنه لم يستطع التخلص من الفقر الا فى هذه السنوات الاخيرة . وقد امكن للشخص ان يحصل على ٧٥٠ كيلو غراما حبوبا ونحو ٦٠ يوانا فى سنة واحدة . ولما كانت الايدى العاملة فى عائلته كثيرة نالت حبوبا تفيض على الحاجة . علاوة على ذلك ، النفقات فى الريف قليلة . مثلا ، يكلف طحن ٥٠ كيلو غراما من القمح نصف يوان فقط ويوزع الزيت على الفلاحين مجانا وتزرع الخضروات فى الارض الخاصة ويكفى طن واحد من الفحم بثمن ١١ يوانا للتدفئة شتاء والوقود اليومى قش من القمح . ولا تزيد كلفة الكهرباء عن نصف يوان شهريا والمياه دون مقابل . وتأكل عائلة فان اللحم كل يوم تقريبا هى تملك ١١ شاة . وخلال السنوات الاخيرة اشترت عائلة فان دراجة وماكنة خياطة و٣ أو ٤ ساعات يدوية وراديو مع ان الفيلق قد ركب لكل عائلة جهاز اذاعة محلية عام ١٩٥٨ . وفى السنة الماضية اشترت جهاز تلفزيون لكنها باعته بعد وقت وجيز لان افراد العائلة يفضلون السينما على التلفزيون والقرية تعرض ١٥ فيلما كل شهر على الاقل . وعندما اعيد بناء المسجد فى القرية تبرعت العائلة بـ ٢٣٠ يوانا اى اكبر مبلغ فى القرية . . اضافة الى ذلك تجاوزت ودائع العائلة فى المصرف ٥٠٠٠ يوان .

ولا يهم فان دى تسانغ حاليا الا تربية وتثقيف جيله الثالث . وقد قال « اشعر بالحزن والاسى كلما رأيت ابنى البكر الذى انقطع عن الدراسة بسبب الفقر يقرأ الكتب حول ميكانيكا السيارات بصعوبة . لذا انى عازم على الحاق جيلى الثالث بالمدرسة الابتدائية فالمتوسطة وحتى بالجامعة ! »

بيت يفيض بمباهج الربيع

بيت ما شنغ ده من بين البيوت الخمسة عشر الفقيرة يقع فى جنوب غربى القرية ، مكون من ٣ غرف منخفضة متلاصقة ، اوسطها للاكل والاستقبال والأخريان للنوم .

ما شنغ ده (٣٧ سنة) مات والداه قبل ٢٠ سنة . ولما كان قوى الجسم

نشيطا فى العمل عاش مع جدته عيشة رغدة تزايدت سعادة وهناء بعد ان تزوج فتاة ممتازة من قرية مجاورة . ولكن لم تمض سنوات على زواجهما حتى اصيبت زوجته بقرحة مؤلمة فى قدمها اليسرى فصرف على علاجها الكثير من المال بيد ان مرض زوجته تفاقم حتى لم تستطع السير على القدم فوقع على عاتقه عبء ثقيل لاعالة الاسرة المكونة من ٧ افراد . ومع انه ظل من اقوى الفلاحين الا ان الحبوب التى توزع عليه لم تكن لتسد حاجة العائلة فضلا عن تكاليف علاج زوجته فاصبحت المعيشة صعبة واصبح مدينا للفرقة الانتاجية والاقرباء بالاموال والحبوب ولم يتح لولديه دخول المدرسة ومصباح البيت ١٥ شمعة والطعام بسيط خشن دون لحم حتى فى ايام العيد .

ولكنه لم ييأس بل عقد العزم والنية وقال : « الفقر لدى العائلات ناجم عن ٣ اسباب اولها الكسل والثانى سوء ادارة المنزل والثالث قلة الايدى العاملة مع المرضى . وبيتى من النوع الثالث . فلا نشعر بالخجل او التشاؤم ونحن مجدون فى العمل ومقتصدون فى الحياة وتنتظرنا عيشة جميلة ناعمة اذا ما تخلص الاهل من شقى المرض وشب الاولاد . اعمل فى الفرقة الانتاجية نهارا لاكسب اعلى نقاط العمل وازرع القمح والخضروات فى الارض الخاصة والفناء مساء وبنتى البكر تقوم بالطبخ والشؤون المنزلية نيابة عن والدتها وولدى الاكبر يخرج لجمع الحطب وجمع الروث سمادا للارض الخاصة ويربى عدة دجاجات لبيع البيض وشراء الملح والخل والحاجات اليومية اللازمة . ولكن لولا معونة الفرقة الانتاجية والفيلق لما استطعت اعالة اسرتى . ومع ان فرقتنا الانتاجية فقيرة بين الاحدى عشرة فرقة التابعة للفيلق فتقدم لى وانا من اقوى الايدى العاملة ٤٠٠ كيلو غرام من الحبوب سنويا ونحو ٤٠ يوانا الا انها تقدم حسب توجيهات الفيلق حبوبا لجدتى وزوجتى واولادى كعلاوة بنسبة ٨٠٪ من معدل الحبوب لكل فرد من افراد الفرقة ، وتسمح لى ان استعير الحبوب فى اى وقت . الى جانب ذلك يهبنى الفيلق ٢٠ — ١٠٠ يوان من بين الـ ٧٠٠ يوان التى تخصصها الدولة للقرية فى كل فصل كمعونة . وقد اعطانى ١٠٠ يوان فور ان اقترح الطبيب بقطع قدم زوجتى لكننا ترددنا حرصا على هذه القدم . . . وهكذا بمعونة الدولة والجماعة امكننى منذ ١٥ سنة ان استمر فى علاج مرض زوجتى والحقت ولدى الثانى بالمدرسة الابتدائية فى السنة الماضية واشتريت فى عيد الفطر ثوبا احمر

اعجب بنتى . . . وتتحسن عيشة اسرتى . . . حقا احس بضميرى يؤلمنى كلما ذكرت جميل الدولة واهالى القرية وقد اقنعت ولدى الاكبر الذى دائماما يلح باكيا فى الالتحاق بالمدرسة وقلت : « ان عائلتنا جلبت متاعب كثيرة للجماعة فعلينا ان نتغلب على الصعوبات بانفسنا . وعندما تسهل الحياة تسنح لك فرصة الدراسة . »

ثم زرت زوجته المريضة . ولم يكن فى حسبانى انها صبيحة الوجه كما الدينار ، يشع من عينيها اللطف والرقة ، ويرتسم على شفتيها البسمة الهادئة ، وهى تجلس فى السرير مغطاة بلحاف على رجليها . فبدا لى كأنها سليمة الجسم . . كأنى على دراية تامة لمسعى ما شنغ ده فى طلب الاطباء لحفظ قدمها اذ يمكنها اذا نجحت من مطاردة المرض ان تحرر اسرتها من الفقر والضيق بشبابها الحيوى . . وبسبب متعته فى غرس الازهار الباهية الالوان على حواف ارض الخضروات فى الفناء ، أليست مباهج الربيع فى الدار ترمز لمستقبل مشرق ينتظر هذه الاسرة الفقيرة ؟

ملك سولو والذرية المسلمة في الصين

استطلاع : لاو تشنغ ، مراسل « بناء الصين »

في ضاحية مدينة دتشو الشمالية ، مقاطعة شاندونغ ، توجد قرية يستقر فيها مواطنون من اصول فيليبينية يدينون بالدين الاسلامى . والغريب ان الناس يطلقون على تلك القرية قرية بيينغ ومعناها المعسكر الشمالى ويبلغ عدد سكانها ١٢٠ أسرة (٤٦٠ نسمة) ، معظمهم من ذرية الملك الشرقى ، ملك مملكة سولو البائدة (مملكة سولو فى جزر سولو بالفيليبين اليوم) . وجدير بالذكر ان هناك ضريحا يأوى جثمان باتوجه باحرا ، الملك الشرقى من مملكة سو لو فى اوائل القرن الخامس عشر . وقد أدرجت الحكومة الصينية تلك المقبرة فى قائمة الآثار المحمية . وقد زرت هذه القرية المسلمة مؤخرا وشاهدت مقبرة ملك سو لو .

الملك الشرقى باتوجه باحرا

حسب ما سجل «كتاب تاريخ أسرة تشينغ» من تأليف السيد تشاو ار سون : « ان سولو امارة تدين بالدين الاسلامى فى احدى الجزر . وهى عبارة عن هضبة مكونة من صخور وبالتالى لا تصلح للزراعة . فعمد الاهالى الى اعماق البحر لجمع اللؤلؤ والصناعة اليدوية بقصد طلب الرزق وحرصوا على الاتجار مع رجال الاعمال الصينيين . . . . » . فى عام ١٤١٧ ابحر الملك الشرقى ، باتوجه باحرا والملك الغربى ، ماحرثجر امه دين وملك دونغ ، باتوجه باراب الى الصين فى زيارة ودية بصحبة حاشية قوامها ٣٤٠ شخصا بما فى ذلك أسرهم وخدمهم وحشمهم . وبعد رحلة استغرقت شهرين وصلوا فى اواسط اغسطس الى بكين ، وقد رحب بهم الامبراطور تشو يى الملقب بيونغله (١٤٠٤

– ١٤٢٤) فى عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ – ١٦٤٤) ترحيبا حارا واكرم وفادتهم فى احتفال كبير ، كما قدم لهم هدايا ثمينة . وقد رد ملوك مملكة سولو الثلاثة تكريما بتكريم ، فقدموا وفقا لتقاليدهم واعرافهم للامبراطور يونغله ووزرائه كثيرا من منتجات بلادهم النفيسة النادرة كهدايا .

وبعد ٢٧ يوما مفعمة بالبهجة والسرور والمتعة شرعوا فى رحلة العودة من بكين الى ديارهم ، فابحروا جنوبا عبر القناة الكبرى . وعند وصولهم الى دتشو اصيب الملك الشرقى فجأة بمرض حاد ووافاه الاجل فى دتشو ، وقد اغتم الامبراطور يونغله لهذه الفاجعة وانتابه حزن شديد وارسل تشن شى تشى ، مدير ادارة المراسم ليقدم العزاء باسم الامبراطور وليشرف على اقامة حفلة التأبين الضخمة له كما كلفه بالقاء كلمة التأبين الرسمية وصدرت الاوامر بان تشيد للملك المتوفى مقبرة هناك حسب النظام الامبراطورى الصينى وكتب كلمة التأبين بخط يده .

تشكيل قرية مسلمة

بعد وفاة الملك الشرقى ، ارسل الامبراطور مبعوثا خاصا الى دتشو ليعزى توماحان ، ولى العهد ، واقنعه ان يعود الى بلاده مع الملك الغربى وملك دونغ ليخلف أباه فى حكم البلاد . وفى الوقت نفسه وافق الامبراطور على بقاء حوالى عشرة اشخاص من مجموع الزوار فى دتشو لمدة ثلاث سنوات للاهتمام بالمقبرة . وكان من هؤلاء جمونين ، زوجة الملك الشرقى وابناه الثانى وانحار والثالث آنتولو وغيرهم من الخدم . وكذلك قدمت حكومة أسرة مينغ اليهم كل ما كانوا يحتاجون اليه من حبوب ومصاريف اخرى واعطتهم قطعة من الارض تبلغ مساحتها حوالى ١٦ هكتارا للمحافظة على المقبرة كما عينت افراد ثلاث اسر من قومية هوى وهى شياو وما وتشن فى محافظة ليتشنغ لخدمتهم . وبعد ذلك بعث الملك الغربى ووالدة الملك الشرقى على التوالى رسلهما الى الصين من اجل تعزيز العلاقات الودية وزيارة قبر الملك الشرقى . وفى عام ١٤٢٣ ودعت حكومة أسرة مينغ زوجة الملك الشرقى وغيرها من افراد أسرتها وحملتهم هدايا ثمينة قبل عودتهم الى ديارهم . وفى السنة التالية عادت جمونين الى دتشو مرة اخرى واستقرت هناك مع ابنائها لمدة طويلة حتى وفاتهم ثم دفنوا فى المكان قريبا من مقبرة الملك .

فى عام ١٧٣١ وعندما كان سلطان ، ملك سو لو فى زيارة رسمية الى الصين توجه الى دتشو بصفة خاصة لزيارة مقبرة اجداده . واحيط باحداث القصة السابقة من احفاد الجيل الثامن للملك الشرقى ، وقد طلب احفاد الملك الشرقى من ملك سو لو ان يسمح لهم بالحصول على الجنسية الصينية لان المحيط يفصلهم عن وطنهم الام ، وقد قبل ملك سو لو طلبهم ونقله الى ادارة حكومة أسرة تشينغ (١٦٤٤ – ١٩١١) آنذاك . وقد صادقت الحكومة على ذلك الطلب فحصلوا على الجنسية الصينية تحت اسم أسرة ون وآن . وهكذا تكونت تدريجيا قرية سكانها من اصل الفيليبنيين .

مقبرة ملك سولو

وصلنا الى قرية بيينغ بالسيارة ومررنا بجسر « بيلينغ » الذى تم ترميمه مؤخرا وامامنا طريق واسع مستقيم عرضه حوالى ١٠ امتار وطوله اكثر من مائة متر وعلى جانبى الطريق تماثيل حجرية ضخمة جميلة للوزراء والجنرالات وكذلك تماثيل للخيول والاغنام والنمور والفهود ومسلتين فضلا عن النصب الحجرى الذى نقشت عليه الكتابات بخط الامبراطور يونغله والذى ينتصب جنوب المسلة شرق ممر القبر ومازالت الكلمات واضحة حتى يومنا هذا .

تقع مقبرة ملك سو لو على شمال قرية بيينغ .. يبلغ طول قاعدة المقبرة ٧٧ مترا وعرضها ٥٠ مترا وعلى القاعدة كومة ترابية مخروطية الشكل ، طولها ٦ امتار وتحيط بها اشجار الصنوبر والسرو . وانتصب امام المقبرة شاهدة منحوت عليها « قبر الملك الشرقى لمملكة سو لو» . اما قبور الزوجة والابنين فتقع جنوب شرقى المقبرة اى على بعد مائة متر عن مقبرة الملك وقد شيد خصيصا لكل قبر حائط واطئ مستدير الشكل يحيط به لحماية القاعدة .

زيارة ذرية الملك الشرقى

وصادفت امام المقبرة عجوزين احدهما اسمه ون شو لينغ (٧٧ سنة) والآخر يدعى آن تشينغ شان (٨١ سنة) وهما اكبر انسال الملك الشرقى من الجيل السادس عشر . وحيياني بهز رأسيهما جالسين على درجة المقبرة . وتأملتهما فوجدت انهما ، على ما يبدو ، بصحة جيدة بالرغم من انهما يأخذان عكازتين . وبعد تجاذب اطراف الحديث عرفت انهما عضوان من « فرقة حماية مقبرة ملك

سو لو» ، وعمدا الى حماية تلك المقبرة منذ سنوات عديدة .

وزرت أسرة السيد آن جيون تشين ايضا فى القرية . وقد بلغ صاحب البيت خمسا وخمسين من عمره وهو من الجيل السابع عشر يشغل منصب نائب رئيس محكمة اقتصادية من عام ١٩٥٩ . ويعيش السيد آن وزوجته وابنه مع ابويه واخيه وزوجة اخيه مع اطفالهما الثلاثة ، أسرته كبيرة من عشرة اشخاص . ولما سألته عن اجداده رد قائلا : « لا نعرف تاريخ اجدادنا سوى ذرية الملك الشرقى . ونحن من قومية هوى وندين بالدين الاسلامى ونحتفل بعيد الفطر وعيد الاضحى وعيد المولد النبوى . اما تقاليد الزواج والدفن فتشابه قومية هوى تماما . »

ان اكبر سليل للملك الشرقى هو من الجيل السادس عشر بين أسرتى ون وآن فى قرية بيينغ ، اما اصغر سليل فعمره سنتان فقط وهو من الجيل التاسع عشر . وعلى الرغم من ان احفاد اسرتى ون وآن لا يعرفون لغة اسلافهم واسلوب حياتهم الا انهم يعلمون انهم من سلالة الأخوين ون وآن . لذلك فهم لا يتزاوجون فيما بينهم وفقا لعاداتهم القديمة . . ومع مرور الوقت وازدياد عدد سكان قرية بيينغ انتقل بعض الافراد من الأسرتين من القرية الى مقاطعات خبى وخنان وشانشي وشنشي وجيانغسو وآنهوى فضلا عن بكين وتيانجين .

المسجد البرهان

الى جانب جنوب مقبرة الملك الشرقى يقع المسجد القديم الذى شيد بناء على اوامر امبراطورية فى أسرة مينغ وذلك من اجل تسهيل اداء الشعائر الدينية لذرية ملك سو لو . واستطعنا ان نرى من بعد مئذنة عالية تمتد افاريزها المعطوفة الى اعلى كأنها ترفرف بجناحين ليطيرا الى السماء . ويعتبر اسلوبها من المعمار النموذجى فى عهد أسرة مينغ . غير ان اليشم الابيض المنحوت عليه كلمة المسجد على رأس الباب قد اصبح اثرا بعد عين .

وجدير بالاشارة الى ان « كتاب تاريخ أسرتى ون وآن » قد سجل فيه « . . . . وقد عاد تومورحان ، ولى العهد ، الى بلده بعد ان منحه الامبراطور لقب الملك الشرقى لمملكة سو لو . اما ابناه الثانى والثالث فقد خصص لهما المرتب . وازداد السكان مع مرور الايام فشيد المسجد وانتخب واحد من كل

من أسرتى ون وآن اماما يقود المسلمين فى قراءة القرآن الكريم وزيارة المقبرة فى الاحتفالات الاسلامية الكبيرة . . . . » . وقد كلفت حكومة أسرة مينغ عام ١٦٢٨ السيد وان شو شياو ، ذرية الملك الشرقى ، بان يكون امام المسجد ومنحته الدليل وقدمت له الملابس وقبعة . هذا وقد مر ذلك المسجد القديم باسرتى مينغ وتشينغ الملكيتين وهو البرهان على ترعرع ذرية ملك سو لو فى قرية بييغ منذ مئات السنين .

ملك سو لو على الشاشة

فى شهر يونيو عام ١٩٨٠ ، سافر الدكتور نارسيسو . ج . زيس السفير الفيليبينى لدى الصين ، الى دتشو ، مقاطعة شاندونغ لزيارة مقبرة ملك سو لو وقبور زوجته وابنيه والنصب السالف الذكر . وقد تحدث السفير مع ذرية ملك سولو بعد زيارة المقبرة .

وتم فى شهر مارس عام ١٩٨٢ توقيع اتفاقية بين الصين والفيليبين حول التصوير المشترك لفيلم « ملك سولو وامبراطور الصين » . يلعب ادوار الصينيين الممثلون الصينيون . اما الفيليبينيون فيلعب ادوارهم الممثلون الفيليبينيون . ومن المتوقع ان يشهد « ملك سو لو وذريته » الجم الغفير من المتفرجين .

عائلة من اصل عربى
فى مدينة الزيتون

استطلاع : لاو تشنغ ، مراسل « بناء الصين »

قطعت آلاف الاميال من بكين الى مدينة الزيتون من اجل زيارة اسرة من ذرية عربية . انك – عزيزى القارئ – لا يمكن ان تجد هذه المدينة على الخريطة الصينية الحديثة ، فقد تحول اسمها الى « تشيوانتشو » فى حوض نهر جينجيانغ الاسفل فى جنوب شرقى مقاطعة فوجيان . الا ان لمدينة الزيتون شهرة واسعة فى تاريخ العلاقات الصينية العربية . لقد ذكر ابن بطوطه فى حديثه عن « بلاد الصين » فى كتاب رحلته ، مدينة الزيتون وقال عنها : « لما قطعنا البحر كانت اول مدينة وصلنا اليها " مدينة الزيتون " . . . . ورأيت مائة مركب كبير ، واما الصغار فلا تحصى كثرة . . . . » ، ها هو الرحالة العربى المشهور قد سافر الى الصين عام ١٣٤٢ ونزل فى مدينة الزيتون ، وكذلك وصل اليها ماركوبولو البندقى بحرا من ميناء الزيتون ايضا عام ١٢٩٢ ، حينما صاحب كوه كوه تشن اميرة من اميرات أسرة يوان (١٢٧٩ – ١٣٦٨ م) حين زفت الى امير فى بلاد فارس . وبلا شك كانت فى ميناء الزيتون قبل ٩٠٠ سنة صوارى السفن ناصبة أشرعتها فيها . وتتابع الاجانب فى المجئ اليها وكان من بين عشرة آلاف تاجر ورحالة ومبشر أجنبى مقيم فيها كثير من العرب ، اقاموا فيها المساجد والبساتين والحدائق وملكوا الاراضى والمخازن ، وقد استقر بعضهم فيها حتى عانقهم ثراها . ولكن ذريتهم بقيت وتناسلت وعاشت فيها حتى اليوم .

لم اكد اصل الى هذه المدينة حتى اتيت الى شواطئ البحر وصعدت الى برج « الزوجة وسلفتها » برج حجرى قديم فوق تلة ، فوجدت السحب البيضاء تسبح فى السماء والبحر واسع لا حد له ، مما جعل خيالى يطوف واتذكر بلاد

العرب التى قضيت فيها مدة . لقد قضيت العطلة الصيفية فى عام ١٩٥٧ مع زملائى العرب فى معسكر الرواد فى الاسكندرية حيث كانت السماء فوق البحر المتوسط الابيض بيضاء مضبة ، كما تذكرت امواج البحر الاحمر كيف كانت متلاطمة وضاربة تهامة . وحينما كنت فى الحديدة شاهدت منظرا مماثلا للمنظر هنا . . . . جئت اليوم الى هنا لزيارة ذرية عربية فاحسست أن هناك شريطة تاريخية اتصل بها الشعب الصينى بالعرب بقوة جبارة .

المسلمون بجانب المسجد

مسجد الاصحاب هو المسجد الوحيد الباقى فى مدينة الزيتون ويقع فى شارع تومن فى جنوبى المدينة قريبا من الفندق الذى نزلت فيه . ووصلت اليه بعد وصولى بفترة قصيرة .

تقيم ٦٠ أسرة مسلمة بجانب المسجد ، وزرت أسرة قوه لونغ تشو المدرس فى مدرسة وينميوا وعمره الآن ٦٢ سنة . كان اماما فى هذا المسجد عام ١٩٤٥ فسمى بالامام الرابع ، ثم اصبح ناظرا للمدرسة الابتدائية التابعة للمسجد يدرس فيها اللغة العربية . انه لايزال يستطيع ان يتلو القرآن ويكتب جملا منظومة على اللوحات بالعربية مع انه دخل العقد السابع من عمره .

جاءتنا زوجته وجيرانه واطفاله كلهم ، فجرى الحديث بيننا . « هل جيرانكم كلهم من المسلمين ؟ » اجابت العمة قوه : « نعم ، تقيم هنا اكثر من ٥٠ اسرة من ١١ عائلة . » و « هل تمارسون عاداتكم الاسلامية ؟ » قال هوانغ تشيو رون « نذبح الاغنام ونأكل المقليات وندفن موتانا حسب عادات المسلمين ، ولا نأكل لحم الخنزير . » وبعد ان سألت عن اجدادهم ووقت بداية اقامتهم بجانب المسجد ، قالوا : « اننا نسكن فى المسجد جيلا بعد جيل ، حتى لا نعرف تاريخ البداية ومن هو جدنا » .

بيت ابو شو قنغ القديم

كان ابو شو قنغ تاجرا غنيا عاش فى الفترة ما بين اواخر أسرة سونغ (٩٦٠ — ١٢٧٩ م) واوائل أسرة يوان فى مدينة الزيتون ، ثم عينته أسرة يوان مديرا للجمارك يدير شؤون الجمارك والتجارة الخارجية ، فاصبح شخصية بارزة ذات مكانة مرموقة فى وقته . قررت عندئذ ان ازور ذريته . وهنا على ان اشكر عالم الآثار

البرفسور تشوانغ وى جى الذى يعرف كل ما فى موطنه الزيتون والمساعد تشوانغ جنغ هوى اللذين يشتغلان فى شعبة الآثار القديمة بقسم التاريخ فى جامعة شيامن لانهما وافقا متكرمين بمصاحبتى فى زيارة ذرية ابو شو قنغ .

وصلنا صباحا الى ناحية فاشى فى كومونة دونغشى التى فيها شارع ممهد بالواح حجرية وبجانبها ٣ قرى من بينها قريتان تعيشان على زرع الازهار . ووجدنا امام القرية ٣ قبور تتحلى بالاسلوب العربى ، وبعض آيات القرآن منحوتة بالعربية فوقها ، وامامها حديقة كبيرة تتفتح فيها الزهور . قال البرفسور تشوانغ مشيرا الى الياسميـن : «كانت العطور من اهم الواردات فى أسرة سونغ واشتغل فى تجارتها كثير من العرب ، من بينهـم أسرة ابو شو قنغ ، والحديقة امامنا من آثار اشتغال أسرته بهذه التجارة» .

اتينا الى ناحية « القاعة المقدسة » المجاورة بجانب حديقة كبيرة وسألت البرفسور عن سبب تسميتها « القاعة المقدسة » فقال انه قد اكتشف قبل مدة ليست طويلة ان مسجد تيانفانغ كان قد بنى هنا ، وربما هذا هو السبب فى تسمية الناس له « القاعة المقدسة » . صاحبنا لين تشى هوى نائب رئيس الكومونة فى الإستراحة فى بيت الفلاح الزراع للازهار واسم عائلته بوه ، وسألت نائب الرئيس هل يوجد فى القرى الثلاث مسلمون ؟ فقال : « فيها أسرة قوه تدعى بانها من سلالة العرب . » فقاطع كلامه البرفسور قائلا : « ان الذين اسماؤهم العائلية بوه من سلالة ابو شو قنغ حسب التحقيقات اذ انهم قد حولوا اسم ابو الى اسم بوه بسبب اضطرابات حدثت فى الفترة ما بين اواخر اسرة يوان واوائل أسرة مينغ ، ولكنهم لا يزالون يحافظون على بعض العادات والتقاليد الخاصة ، مثل تزيين النساء رؤوسهن بالاكاليل وتقديم البخور والزهور الذكية لاسلافهم والخ . فاعترف المضيف بهذا مبتسما .

على قمة الجبل وراء القرية اطلال عمارة مطلة على البحر لبو شو قنغ . ومن الممكن ان ترى السفن العائدة من الوطن العربى . ورأينا فى وسط الجبل حجرة مستطيلة بيضاء يبلغ طولها ١٫٦٨ متر وعلوها ٩٤ سم وسمكها ٢٠ سم وفوقها عبارة منحوتة مبهمة ، كأنها عبارة « بسم الله » العربية . وقد اكد البرفسور تشوانغ انها من المنحوتات الحجرية فى أسرة سونغ ، ولكن ماذا نحت فوقها ؟ وما فائدتها ؟ كل هذا لا يزال لغزا يحتاج الى بحوث البرفسور تشوانغ .

وبعد التعجب طرحنا سؤالا : « اين ابناء واحفاد ابو شو قنغ ؟ » فاجاب البرفسور ان معظمهم قد انتقلوا الى رونغتشون وانتقل بعضهم الى المنطقة بين حدود مقاطعتى فوجيان وقوانغدونغ ولا يزالون يسمون باسم بوه ويشتغل معظمهم بحرف العطور .

سلالة السيد أجل شمس الدين

اخبرنى يانغ شيانغ شيان الصحفى فى منطقة انهر جينجيانغ ، بان ناحية تشنلى فى كومونة تشنلى ، تقع على شاطئ البحر فى جنوب مدينة الزيتون بعشرين كيلومترا . ويقيم فيها ١٦٠٠٠ نسمة من سلالة العرب ، فسافرت اليها لزيارة هؤلاء الاخوة المسلمين وكانت برفقتنا السيدة تشاو وو شيوان من محطة اذاعة الشعب المركزية .

فى عام ١٩٥٢ عثر فى قاعدة سور مدينة الزيتون على لوحة قبر نحتت فوقها كلمات عربية ، وعلى وجهها نص الصلات وعلى ظهرها اسم الميت ونسبه وتاريخ وفاته : « المتوفى الشهيد امير سيد اجل طغانشاه بن سيد اجل عمر بن سيد اجل اميران بن امير سفسان بن ابى بكر فى البخارى . نور الله مضجعهم وجعل الجنة مشواهم . كانت وفاته فى التاسع من شهر صفر سنة اثنان وسبعمائة . »

اشار المرحوم محمد مكين الاستاذ الاسبق فى جامعة بكين الى ان طغانشاه ينتسب الى أسرة سيد اجل شمس الدين المشهورة ، وكان شمس الدين ، والى مقاطعة يوننان بجنوب الصين الغربى ومنحته حكومة أسرة يوان لقب « الامير شيان يانغ » بعد وفاته . واثبتت هذه اللوحة ان فرعا من هذه الاسرة قد انتقل الى مدينة الزيتون ، تشيوانتشو حاليا ، و١٦٠٠٠ نسمة فى الفيالق السبعة فى كومونة تشنلى كلهم من المسلمين واسم عائلتهم « دين » ، ويدعون بانهم من سلالة شمس الدين واسم عائلتهم جاء من « الدين » الكلمة الاخيرة فى اسم « شمس الدين » . قال لنا دين قوه بياو ، نائب رئيس الكومونة : «كانت فى اواخر أسرة يوان حروب مستمرة فى انحاء البلاد وشهد جنوب الصين اضطرابات خطيرة . وكانت أسرة دين من سمونيين * فانتقل جدهم للجيل الرابع الى شاطئ البحر النائى هذا تجنبا لمصائب الحروب ، والاطفال الآن كلهم من الجيل السابع والعشرين . » « هل تحافظون على عادات المسلمين منذ عدة مئات من السنين ؟ » فقال : « لا نأكل لحم الخنزير ونقوم بدفن الميت » .

زرنا فى صباح اليوم التالى احواض تربية الاسماك وصعدنا الى زورق

صغير كان يسير بجانب السد الطويل المتعرج الذى يبلغ طوله ١٠ كيلومترات ، وكان البحر اللامحدود فى جانب السد ، والاشجار المظللة لصد الرياح على السد وفى جانب السد الآخر حقول الارز الواسعة الخضراء التى تشكل صورة طبيعية مع الغرف المبنية بالطوابيق الحمراء والاحجار البيضاء . ان زراعة هذه الكومونة ممتازة . . ويبلغ انتاج الحبوب للمو الواحد الف كيلوغرام . ثم زرنا المصانع التابعة للكومونة . ويوجد فى ٧ فيالق ٤٥ مصنعا صغيرا من ضمنها مصانع الورق والنسيج العشبى والملابس والاحذية ، ومن اليسير ان يلمح المرء اعضاء هذه الكومونة يعيشون فى رخاء ويسر .

زرنا اخيرا مسجد أسرة دين الضخم الأنيق المختلف عن معابد قومية هان اذ ان قاعدته مبنية بالجرانيت الابيض فى الوسط وفوقه قاعة ، وكل ما حوله من الممرات المتتالية التى تشكل كلمة « 回 » الصينية ، اى كلمة قومية هوى التى تؤمن بالاسلام .

المسلمون فى ناحية بايتشى

تقع ناحية بايتشى داخل كومونة دونغيوان فى محافظة هويآن فى المنطقة الساحلية النائية مقابل ميناء هودو فى خارج تشيوانتشو ، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات ، يوجد فى هذه الناحية وغيرها من النواحى الثمانى الاخرى ١٠٠٠٠ نسمة تقريبا واسم عائلتهم قوه ، وهم من سلالة العرب او الفرس .

وصلت الى بايتشى واول ما لمحت كان ٤٠ سفينة كبيرة وصغيرة لصيد الاسماك ، ومعظمها من السفن الشراعية الآلية ، كان الصيادون مشغولين فى الشحن والتفريغ وعدة نسوة يصلحن الشبكات على الشاطئ . استرحت فى المطعم عند مدخل القرية وتحدثت مع طباخ عجوز « هل هذا المطعم للمسلمين ؟ » « نعم ، يؤمن فلاحو القرية كلهم بالاسلام » . اشرت الى السفن سائلا : « أ يباع السمك فى المطعم ؟ » فاجاب بعد فترة قصيرة : « لا نبيع الاسماك ذات الاشكال الغريبة » « ما هى الاشكال الغريبة ؟ » قال : « مثلا السرطان البحرى والقرش وسمك الحبر ، لا نبيعها ولا يأكلها المسلمون » . ربما كنت قد سررته بصفتى كضيف زائر اذ سألنى : « هل انت غريب عن هنا ؟ » « نعم ، من بكين » . « لماذا جئت الى قرية الصيادين هذه ؟ » « لزيارة سلالة العرب ، لزيارتكم انتم المسلمين . » فقام الطباخ الشيخ وامسك بيدى بفرح واكرمنى بالشاى والكعك .

صاحبنى قوه يو ده الكهل القوى البنية ، رئيس الفرقة فى زيارة القرية ، وعرفنى قائلا : « فى قرانا التسع ١٠٠٠٠ مسلم ، اسم عائلتهم قوه فتسمى " قرى قوه التسع ، ومقبرة اجدادنا فى ناحية فاشى . وقد انتقلوا الى هنا فى اواخر اسرة يوان . » وسالته عن احوال انتاج الفيلق فقال : « نمارس الزراعة والصيد معا . يزرع بعض اعضاء الكومونة الرز ويصيد بعضهم الآخر الاسماك » .

جاء فلاحون كثيرون حينما كنت اتناول الغداء لدى صياد فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، واخبرونى بانهم كلهم يؤمنون بالاسلام . كان فى القرية مسجد . وقال لى الرئيس قوه : « نؤدى صلاة الجمعة ونصوم شهر رمضان » فسألتهم : « أتصومون فى رمضان حقا ؟ » قالوا بجدية : « بالتأكيد لا نأكل ولا نشرب بعد السحور الى غروب الشمس » .

ودعت الصيادين المسلمين فى الساعة الرابعة عصرا ، فأوصلونى الى مدخل القرية ، ورأيت على التلال قبورا اسلامية . فقال رئيس الفرقة : « فى بايتشى اكثر من ١٠ قبور ذات نفس الشكل» وقال الصيادون ايضا : «اننا نتلو القرآن ، ويوجد من بيننا من يتلوه فى الجنازة . وقبل دفن الميت ، نغسل الجثة ونلفها بالقماش الابيض ثم نضعها فى داخل القبر مع العطور وندفنه ، وعلى الذين يحضرون الجنازة ان يلبسوا الجلابيب البيضاء والقبعات وغيرها من ثياب الحداد . ولم نعد ادراجنا الى مدينة الزيتون الا بعد ان غطست الشمس فى خدرها .

ينتشر ٣٠٠٠٠ نسمة من ذرية العرب حول مدينة الزيتون . وقد زرت ٣ كومونات فى مدة ٥ ايام ، واتصلت بكثير من اعضاء الكومونات واجريت المحادثات معهم . وقد تأثرت بأسرة شيوه شو تسنغ الموظفة فى الكلية الخاصة للمغتربين بالمراسلة التابعة لجامعة شيامن لان ملامحها وامها واخوتها واخلاقهم جعلتنى اتذكر العرب الذين يعيشون فى سوريا .

ودعت مدينة الزيتون متمنيا ان ازور هذه المدينة العريقة الجميلة وهذه الذرية العربية مرة اخرى .

---

* كانت حكومة يوان تطبق سياسة التمييز العنصرى آنذاك فقسمت رعاياها الى اربع درجات : المغول اولا ثم سموتيون — من الويغوريين وهويهويين وغيرها من ١٦ قومية ثم الهانيون واخيرا الهانيون فى مناطق جنوب نهر اليانغتسى .

الصفحة الاولى من الغلاف :

مسجد فى ارومتشى ، عاصمة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم

الصفحة الاخيرة من الغلاف (من اليمين الى اليسار) :

١ – امام مسجد دونغقوان فى مدينة شينينغ – مقاطعة تشينغهاى

٢ – المسلم ما شى شيان يقضى عيد الفطر مع افراد عائلته – ولاية لينشيا ، مقاطعة قانسو

٣ – زوجان يذهبان لزيارة الاقارب – منطقة نينغشيا

٤ – امرأة من قومية هوى – مقاطعة تشينغهاى

٥ – مسجد نانقوان بمدينة ينتشوان

长城丛书
中国穆斯林，他们是哪些人，住在哪里？
（阿拉伯文版）
*
中国建設雜誌社出版（北京）
中国国际图书贸易总公司发行
（中国国际书店）
1984年第一版
00127
17—A—1816P

